سلسلة في رحاب نهج البلاغة

قبسات من الثقافة الإدارية في نهج البلاغة

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد مركز نون للتأليف والترجمة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة

قبسات من

الثقافة الإدارية

في نهج البلاغة

اسـم الكـتاب:	قبسات من الثقافة الإدارية في نهج البلاغة
إعـــــــداد:	مركز نون للتأليف والترجمة
نـشـــــــر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة الأولى:	2015م – 1436هـ

©جميع حقوق الطبع محفوظة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة

قبسات من
الثقافة الإدارية
في نهج البلاغة

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدّمة 9

الفصل الأوّل

التعليمات الإدارية الصادرة من أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّاله وولاته 11

الثقافة الإدارية والقيادية 13

من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله 13

كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر 16

نظام العلاقات الثلاث في ولاية الحاكم 17

1. في العلاقة بالله 17

2. في العلاقة بنفسه 18

3. العلاقة بالناس 19

التعريف بالناس 19

طبائع الناس 20

التعامل من موقع الرحمة 20

ظلم العباد من محاربة الله تعالى 22

والله تعالى يخاصم من يظلم عباده 22

النهي عن الاستعلاء على الناس 23

عندما تتعارض العلاقات الثلاثة 24

العامّة والخاصّة 25

خصائص الخاصّة 28

خصائص العامّة 28
إيثار العامّة على الخاصّة 29

الفصل الثاني

نماذج من الإصلاحات الإدارية في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام 31
سياسة الإمام علي عليه السلام الإدارية والاقتصادية 33
أوّلاً: السياسة الإدارية 33
1. عزل الولاة الفاسدين 33
2. استرداد أموال بيت المال 35
3. الالتزام بالقانون 35
4. عزل من ثبتت خيانته من العمّال ومحاسبته 36
5. نهي العمّال عن أخذ الهديّة 37
6. اختيار العيون لمراقبة العمّال 38
ثانياً: السياسة الاقتصادية 38
1. مراقبة السوق 38
2. التسامح في أسلوب جباية الخراج 40
3. عدم التأخير في توزيع أموال العامّة 41
4. التوزيع بالسويّة 41
ثالثاً: السياسة الأمنية 42
1. الاستخبارات الأمنية 42
2. إجلاء المتآمرين أو حبسهم 42
رابعاً: السياسة العسكرية 43
1. تنظيم الجيش 43
2. تأسيس القوّات الخاصّة 44
3. الحرب خدعة 46
4. المسالمة من دون وهن 46

الفصل الثالث

مجموعة من المبادئ الإدارية من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام 47
مدخل 49
1 . التوكّل والتفويض والاستشارة 49
2. الدقة في القرار 53
3. الحصانة بالتقوى أولاً 56
4. الحسم والقطع بعد الحزم 57
5. الاتزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات 59
6. ترك الإنسان ما لا يعنيه 60
7 . التنظيم والتخطيط 61
8. سعة الصدر 63
9. عدم إضاعة الفرص 66
10. صفة الأناة 67
11 . البشاشة والبشر 68
12. الرأي بين التسرُّع والعجب 70
13. دور الزمان في الإدارة الصالحة 71
14. مبدأ توزيع المسؤوليات 78
15. معايير الاختيار الصحيح 79
16. الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية 82

الفصل الرابع

وقفة مع كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمان بن حنيف الأنصاري 83
تمهيد 85
نص الكتاب 85
آداب حضور الولائم للوالي 88
آداب الطعام 89

لزوم القدوة 89
زهد أمير المؤمنين عليه السلام 90
القبر 92
وحشة القبر وضيقه وغربته 92
تجسّم الأعمال وتلازمها للإنسان 94
ضغطة القبر 94
تناخر الأجسام 95
المساءلة في القبر 96
التقوى 96
المواساة 100
هدف الخلقة 102
القدرة والقوّة العلوية 103
اختصاصه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 104
شجاعته عليه السلام 105
الدنيا 107
الغفلة 109
التهجّد 110
الخلاص من النار 111

المقدّمة

الحمـدلله رب العالمين، وصلّى الله علـى سيّدنا محمد وآله الطاهرين وبعد.

ذكـر السيّـد السيّـد الرضي في مقدّمتـه على نهج البلاغـة: كانَ أمير المؤمنيـن عليه السلام مَشْرَعَ الفصاحَة و مَوْرِدَها، و مَنشأ البلاغَة و مَولدَها، و منه عليه السلام ظَهَرَ مَكنُونُها، و عنهُ أُخذَتْ قوانينُها، وعلى أَمْثلَته حَذا كلُّ قائل خَطيـب، و بكلامه اسْتَعـانَ كلُّ واعظ بَليغ، و مع ذلكَ فقَـدْ سَبَقَ وقَصَّروا، و تَقَـدَّمَ و تَأخَـرُوا، لأنَّ كلامَهُ عليه السلام الكَلامُ الذي عليـه مَسْحَةٌ مِنَ العلم الإلهي، وفيه عَبَقَةٌ منَ الكلام النَّبَويِّ.

وقـد احتلّ نهجُ البلاغـة مَقاماً سامياً عند علمـاء المسلمين وغيرهم، فقيـل عـن كلامه عليه السلام أنّـه دون كلام الخالق وفـوق كلام المخلوقين[1]. وكما يقول السيّد الرضي في مقدمته «**وأما كلامه فهو من البحر الذي لا يُساجل، والجمّ الذي لا يُحافل..**»[2].

لهـذا إنّ كلمـات أمير المؤمنيـن عليه السلام ولا سيما خطبـه وكتبه، كانت موضـع عنايـة وإقبـال وجمع منذ القـرون الأولـى لتاريخ الإسـلام، يقول المسعودي (المتوفّى 346هـ): والذي حفظ الناس عنه عليه السلام من خطبه فـي سائـر مقاماتـه أربعمائة خطبـة ونيّـف وثمانون خطبـة، يوردها على البديهة، وتداول الناس عنه قولاً وعملاً[3].

---

(1) مقدمة ابن أبي الحديد على شرح نهج البلاغة.

(2) مقدمة الشريف السيّد الرضي على نهج البلاغة.

(3) الذهبي، مروج الذهب، ج2، ص19.

بيــن يدي القــارئ الكريم رسالة موجزة في الثقافــة القيادية والإدارية مــن خلال خطب وكلمات ومشاريع وأعمال ورسائل الإمام علي عليه السلام ولا سيّمــا في فتــرة حكومته عليه السلام . ولا بدّ مــن الإشارة إلــى أنّ هذه الدراسة تعمــد إلى تنــاول البعد الثقافي بمفهومــه التربوي والتوجيهــي العام، دون الدخول في أبحاث ودراسات إداريّة تخصّصية ومعمّقة، وذلك بما ينسجم مــع هدف هذا الكتــاب. وإلّا فــإنّ نصوص وكلمات أميــر المؤمنين عليه السلام تشكّل مصدراً هاماً للعديد من الدراسات المتخصّصة في القيادة والإدارة والتربية والتوجيه.

فــي الختــام لا يسعنا إلا أن نقــدّم خالصــ الشكر والامتنــان لسماحة العلامــة الشيخ محمد مهدي الآصفي قدس سره على جهده العلمي المتميّز في إعداد القسم الأوّل من هذا الكتاب.

والحمدلله رب العالمين

مركز نون للتأليف والترجمة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة

الفصل الأوّل

التعليمات الإدارية

الصادرة من أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّاله وولاته

الثقافة الإدارية والقيادية

فيما يلي نستعرض إن شاء الله تعالى طائفة من رسائل أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمّاله وولاته في البلاد:

وقد انتقينا منها رسالتين:

1. رسالة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله لما ولّاه مصر.
2. رسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم مالك الأشتر رحمه الله، وفيها يوصيه الإمام عليه السلام بالتعامل مع الناس بالرفق والعدل والحزم والحسم والإحسان، وهذه الرسالة من كنوز الثقافة القيادية والإدارية في التراث الإسلامي.

من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله

1. يقول عليه السلام في كتابه إلى محمد بن أبي بكر رحمه الله، عندما ولّاه مصر: «**فاخفض لهم جناحك، وألِن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم، فإنّ الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعف فهو أكرم**».

هذه الكلمات مواعظ أخلاقية رفيعة، وفي نفس الوقت تبيّن الأصول العامّة للثقافة الإدارية للمجتمع والحياة العامّة.

يأمـر الإمام عليه السلام هنا محمداً رحمه الله أن يليـن جانبه للناس، ويبسط لهـم وجهـه، فلا يجـد الناس فيـه استعـلاء المستكبريـن وانقباض وجه المتغطرسين.

إذ ينبغـي للحاكـم أن يبسـط سلطانه على القلوب، حتـى تخفق له حبّاً وودّاً من خلال اللين في الكلام، والابتسامة التي تشيع السرور في النفوس التي تنتظر منه بسط الوجه والرضى والمحبّة الدائمة.

«**وآس بينهم في اللحظة والنظرة**».

ثـم ينتقل الإمام إلى المسـاواة في النظر بين الأشخاص، فيقول: إذا تحدّثـت إلى رعيّتك فليكن نظرك موزّعاً بينهم بالسوية. فلا تجعله موجّهاً إلـى فئـة معيّنة أو شخص واحد، ولا تحابي بعض الناس في نظراتك دون بعض.

وقـد يسـأل أحـد: ما قيمـة النظرة حتـى يؤكّد عليهـا الإمـام ويأمرنا بالمساواة فيها.

يقـول الإمام عليه السلام: «**حتى لا يطمـع العظماء في حيفـك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك بهم**».

فـإذا سـاوى بنظره بيـن الناس أشعر الناس أنّه يساوي فـي اهتمامه ورعايته للناس، فلا يطمع فيه أصحاب المطامع.

وفـي الجانـب الآخر لا ييأس الضعفاء مـن عدله، بل يبقـى الأمل في نفوسهـم أن يشملهم باهتمامـه، ويحوطهم برعايتـه، فيذكرهم إذا غابوا ويتفقّد أحوالهم ويعينهم على بلوى الفقر ومتاعب الحياة.

2. ثم يقول عليه السلام: «**ولا تُسـخط الله برضـى أحد من خلقه، فإنّ في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره**».

يأمـر الإمام والي مصـر أن يتّخذ من الله وليّاً وناصـراً عوضاً عمّا في

أيدي الأقوياء والمستأثرين الذين يرون بأنّهم إذا تخلّوا عن الحاكم وغابوا عن مجلسه فسوف يضعف. ثمّ يقول له: لا تسخط الله برضى الأغنياء والأقوياء، فإنّ قوّتهم إلى زوال، وارتبط بالقوّة الإلهية المطلقة المهيمنة على الكون من أوّله إلى آخره.

ثم يقول له: «**فإنّ في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره**».

تذكرنا هذه الكلمة بدعاء الإمام الحسين عليه السلام «**ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك**»؟

إذا انفضّ الأغنياء من حول الحاكم، فإنّ الله عز وجل يخلفه بقوّته وتوفيقه، وتسديده، ولكن ليس لله بديل ولا عوض، إذا أعرض عن عبده وأوكله إلى نفسه، إذا هجرته الرحمة الإلهية، وتخلّى الله عنه وأوكله إلى قوّته وحاشيته وحراسته، فإنّه لا بديل لقوّته المطلقة.

فإذا التفت الحاكم إلى هذه المعاني فلا يستوحش لتفرُّق الناس عنه.

3. ثم يقول عليه السلام لحاكم مصر: «**صلِّ الصلاة لوقتها الموقّت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخّرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أنّ كلّ شيء من عملك تبع لصلاتك**».

لا ينبغي للحاكم أن يؤخّر صلاته عن وقتها بسبب انشغاله بمهام الإدارة والحكم مهما بلغت في خطورتها الاجتماعية.

إنّه التنظيم الدقيق لوقت الحاكم بين الإدارة وبين الالتفات إلى ذاته وعبادته وعلاقته بالله حتى لا تستغرقه مسؤولياته الاجتماعية، فيهمل أمر الصلاة، فهو يستمدّ من عبادته القوّة في إدارته وعمله، وفي تجدّد طاقاته النفسية، وتعيد السكينة إلى نفسه، فإنّ هموم العمل تفقد الإنسان التوازن والاتزان والحزم والحسم في القرار.

فيحتاج إلى محطّة عبادية وخلوة مع الله بعيداً عن ضجيج الناس يُجدّد فيها الاتصال بالله.

وبذلك يستعيد قواه ونشاطه وحيويته «**فإن كل شيء تبع لصلاتك**».

وفي دعاء كميل: «**حتى تكون أعمالي وأورادي كلها ورداً واحداً**».

ومـا أجمل أن تكون حياة القادة امتداداً للصـلاة، وتعبيراً للعبودية لله تعالى، وتطبيقاً لمفاهيم الاستعانة والتوكّل والثقة بالله.

كتـاب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أهـل مصر عندما ولّى عليهم مالك الأشتر رحمه الله.

وهذا دستور آخر للثقافة الإدارية يتحفنا به أمير المؤمنين عليه السلام وهو عهده إلى مالك الأشتر، حينما ولّاه مصر.

يقـول الإمـام عليه السلام: «**هـذا مـا أمـر بـه عبـد الله علـي أميـر المؤمنيـن عليه السلام مالـك بـن الحارث الأشـتر في عهده إليـه حين ولّاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.**

يُحـدّد الإمام علـي بن أبي طالب أمير المؤمنيـن عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر مسؤوليات الحكومة في ثلاث نقاط:

1. الأمن.
2. المصالح العامّة (الخدمات).
3. الإعمار.

والمسؤولية الأولى هي الأمن، من أعداء الداخل والخارج، وما لم يتوفّر للأمّة الأمن لا يستطيع أن يقدّم للناس الخدمات الأخرى.

ثمّ الخدمات والمصالح الاقتصاديـة والصحية والتعليمية والمعاشية، وما يشبه ذلك.

ثـمّ الخدمـات العمرانيـة، والبلديـة، والطـرق، والـري، والمنشـآت الصناعية، واستصلاح الأراضي، والاتصالات وغير ذلك.

وهذه المهام الثلاثة تحتاج إلى جباية الأموال التي تقوّم هذه المشاريع الثلاثة.

والإمـام عليه السلام يشرح هذه النقطة في هذه الفقرة من عهده إلى مالك الأشتـر رحمه الله بقوله: «**جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصـلاح أهلها، وعمارة بلادها**».

نظام العلاقات الثلاث في ولاية الحاكم

ثم يُبيّن الإمام عليه السلام لمالك الأشتر رحمه الله نظام العلاقات الثلاث في حياة الحاكم، وهي:

1. العلاقة بالله تعالى.
2. العلاقة بالناس.
3. العلاقة بالنفس.

ويشرح الإمام هذه العلاقات الثلاث واحدة بعد أخرى.

1. في العلاقة بالله

يُحدّد الإمام العلاقة بالله تعالى بالطاعة لله، وتقوى الله، واتباع أوامر الله تعالـى ونواهيه، وأن ينصـر دين الله حتى ينصـره الله، فيأمر بتقوى الله.

يقول عليه السلام فـي عهده: «**أَمَـرَهُ بتقـوى الله، وإيثار طاعتـه، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضـه وسـننه التي لا يُسعد أحد إلّا باتباعها، ولا يشـقى إلّا مـع جحودها وإضـاعتها، وأن ينصـر الله سـبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنّه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من ينصره وإعزاز من أعزّه**».

ثمّ يقول له: «**وإياك ومساماة الله في عظمته والتشبّه به في جبروته، فإنّ الله يُذلّ كلّ جبار، ويُهين كلّ مختال**».

2. في العلاقة بنفسه

وهذه العلاقة تُمكّن الإنسان من العلاقة الأولى والعلاقة الثالثة، ولا تستقيم هذه ولا تلك إلّا إذا تمكّن الإنسان من العلاقة بنفسه.

ويُعطي الإمام، في عهده لمالك لهذه العلاقة قدراً كبيراً من الأهمّية فيأمره أن يملك هواه، ولا يأذن لهواه أن يملكه.

وليس بين هذا الملك وذلك أمر ثالث، فإذا ملك الإنسان هواه لم يملكه هواه، وإذا ملكه هواه لا يملك هواه، ولا ثالث بينهما.

يقول عليه السلام: «**فاملك هواك**».

ثمّ يأمره عليه السلام أن يشحّ بنفسه عمّا لا يحلّ له، ويكون ضنيناً بنفسه، ولا يعطي نفسه للفتن بلا حساب ولا حدود... فإنّ قيمة العاقل بقدر ما يشحّ بنفسه من الفتن، وما يُعطي منها لله.

ومن إنصاف الإنسان لنفسه أن يشحّ بها في الفتن، ومن سوء الإنصاف أن يبذّر الإنسان بنفسه فيها. فليس شيء أعزّ على الإنسان من نفسه – إلّا الله ورسوله – فلا بدّ أن يكون شحيحاً بها.

يقول عليه السلام: «**وشحْ بنفسك عمّا لا يحلّ لك، فإنّ الشحّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبّت أو كرهت**».

ثمّ يأمره عليه السلام أن يكفّ جمحات نفسه وثورة أهوائه وشهواته...

يقول عليه السلام: «**وقد أَمَرَهُ أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإنّ النفس أمّارة بالسوء، إلّا ما رحم الله**».

يكفّها عند جمحات النفس وثوراتها، والنفس البشرية جموحة ثائرة،

هائجــة، فإذا لم يكسر صاحبها جموحها، ولم يتمكّن من هياجها ويسيطر عليها تملكه، وتقوده إلى الهلاك، وما لم يتمكّن الإنسان من أهوائه وشهواته لا يصحّ أن يتولّى أمراً من أمور المسلمين.

فمــن لا يملك أمر نفسه لا يصلح أن يملــك من أمور المسلمين شيئاً... وهذا هو معنى العدالة في الولاية.

3. العلاقة بالناس

يطــول كلام الإمام عليه السلام فــي عهده إلى مالك رحمه الله فــي العلاقة مع الناس، وهــو القســم الثالث مــن العلاقات الثــلاث. ويعطي هــذا الشطر مساحة واسعة من عهده إلى مالك.

ولا يسعنا أن نتحدّث في هذا الشطر من كلام الإمام بالتفصيل في هذه الخلاصــة، رغم أنّ هذا الشطر من كلام الإمام عليه السلام في تعامل الحاكم مع الرعية موضوع هذه الرسالة.

التعريف بالناس

وأوّل شــيء يلفت نظرنا فــي كلام الإمام عليه السلام فــي التعريف بالناس هو قوله عليه السلام: «**ولا تكونّن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّ الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق**».

وهــو أجمل تعريــف للجمهور الذي يتعامــل معه الحاكــم وأرحبه... إنّ هؤلاء الناس لا يخلو أمرهم من (الأخوة في الدين أو المناظرة في الخلق) وكلاهما يقتضي من الحاكم الرأفة والرحمة... ولا يصحّ أن يقسو الإنسان علــى أخ له في الدين، تربطه به وشيجة الأخوة في دين الله ورابطة الولاء، ولا يصحّ أن يقسو الإنسان على نظير له في الخلق، يُحبُّ ما يحبّ ويكره ما يكره، ما لم يصدر منه ذنب يستحقّ منه هذه القسوة...

فكما لا يحبّ الحاكم أن يقسو عليه أحد، ويُحبُّ لنفسه التكريم والرحمة، كذلك نظراؤه في الخلق.

طبائع الناس

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام طبائع الناس فإنّ الزلل والزلّات شيء مغروس في طبائع الناس، ما لم يهذّب الإنسان نفسه، ويمتلك أزمّتها بشكل كامل... وهو أمر نادر في حياة الناس.

إذن لا يصحّ أن يتخذ الحاكم أمر الزلل والزلّات في حياة الناس حجّة لاضطهادهم وعقوبتهم والتشديد عليهم... والزلل والزلّات غير الإصرار على الإثم والذنب وارتكاب الجرائم والموبقات... وما يجوز ويجب في الجرائم والموبقات لا يجوز في الزلّات والزلل. فلنستمع إليه عليه السلام وهو يصف طبائع الناس الذين يتعامل معهم الحكّام.

يقول عليه السلام في كلامه السابق: «**فإنهم (الناس) صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرف لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ**».

هؤلاء هم الناس تصدر منهم الأخطاء والزلّات، في العمد والخطأ، وتسبق منهم الزلل من غير قصد وتعرض لهم العلل التي تسوقهم إلى الانفعال والغضب والزلّات والأخطاء... فيجب أن يتعامل معهم الحاكم بالرفق والعفو دون العنف، من دون ضعف، وفي غير الجرائم التي لا بدّ للحكّام فيها من التشديد والتعنيف.

التعامل من موقع الرحمة

والتعريف المتقدّم للناس، والإيضاح المتقدّم لطبائع الناس، يتطلّب الرحمة بالناس والعطف والتحنُّن عليهم.

يقول عليه السلام في عهده لمالك: «**وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللطف بهم، ولا تكونّن عليهم سبعاً ضارياً**».

والقائد الذي يمنح رعيّته الحبّ والعاطفة يكسب بالمقابل حبّهم وثقتهم وعاطفتهم.

رحم الله الإمام الخميني أحبّ الناس وأحبّه الناس، وبادلوه الحبّ بالحبّ، وهو مثال نادر جداً في الزعماء السياسيين في عصرنا.

التعامل من موقع العفو والصفح:

ثمّ يأمره عليه السلام أن يتعامل مع الناس بالعفو والصفح، فلا يتشدّد في محاسبتهم، ويعاملهم بالتسامح.

يقول عليه السلام: «**فأعطهم من عفوك مثل الذي تُحبّ وترضى أن يُعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم، وولّي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولّاك**».

فهم يُحبّون عفوك وصفحك، كما تُحبّ العفو والصفح من الله، فإذا أعطيتهم من عفوك وصفحك ما يُحبّون أعطاك الله من عفوه وصفحه ما تُحبّ وترضى.

ثمّ يقول عليه السلام: «**ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة**».

والتبجُّح بالعقوبة من صفات الجبّارين والندم على العفو من وساوس الشيطان.

ثم يقول عليه السلام لمالك: «**ولا تُسرعنّ إلى بادرة وجدت منها مندوحة**» وهو درس هام في طريقة تعامل الحاكم مع رعيّته ساعات الانفعال والغضب. فإنّ الاستسلام للحظات الانفعال والغضب ضعف. فلا يُسرع الحاكم إلى الحكم في لحظات الانفعال والغضب (والبادرة: الغضب)، كلّما وجد إلى ذلك سبيلاً ومندوحة، والمندوحة: المتّسع والسبيل إلى التخلص.

ظلم العباد من محاربة الله تعالى

شــرّ الظلم أن يظلم الإنسان نفســه أو يظلم عباد الله، وظلم العباد من ظلم النفس. فمن يظلم عباد الله يظلم نفسه أكثر ممّا يظلم الآخرين.

والــذي يظلــم عباد الله يدخل فــي دائرة محاربة الله تعالــى، فإنّ ظلم العبــاد مــن محاربة الله. ومن ينصــب نفسه لحــرب الله يخسر الحرب لا محالة، فلا يقوى على محاربة الله أحد من خلقه.

يقول عليه السلام: «**ولا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا يد (لا قدرة) لك بنقمتــه، ولا غنــى بك عن عفــوه**»، إنّك لا تقوى على غضب الله ونقمته. ولا تستغني عن عفوه ورحمته... إذاً فلا تعرض نفسك لغضبه ونقمته، ولا تبتعد عــن منازل عفوه ورحمته، وإذا شئت ذلك فلا تظلم عباد الله، لئلّا تتعرّض لغضب الله ونقمته، وأحسن إلى الناس لتكون عند عفوه ورحمته تعالى... .

والله تعالى يخاصم من يظلم عباده

والله تعالى يخاصم من يظلم عباده، وظلم العباد مخاصمة لله... ومن كان الله تعالى خصمه خاب وكان من الخاسرين.

يقــول عليه السلام: «**ومن ظَلَــم عباد الله كان الله خصــمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب**».

ولسنا نعرف كلاماً أبلغ وأقوى من هذا الكلام في استعظام ظلم العباد من ناحية الولاة والرعاة. والنص عجيب يستوقف الإنسان.

إنّ العباد خلفاء الله في أرضه، والله يدافع عن عباده وخلفائه ويُحبّهم، ويُخاصم من يظلمهم. وهذه هي المعادلة الأولى.

ومــن خاصمه الله أدحض الله حجّته، ولا يقوى أحد على محاججة الله في ظلمه لعباده. وهذه هي المعادلة الثانية.

وأعجب منهما وأبلغ المعادلة الثالثة.

«**ومن ظَلَم العباد أعلن الحرب على الله... وناهيك بذلك**».

النهي عن الاستعلاء على الناس

وينهاه عليه السلام من أن يستعلي على الناس، ويستغل موقعه في الأمر والحكم في إذلال الناس وتطويعهم لأوامره ونواهيه، كما يفعل الجبابرة من الحكام.

«**ولا تقولنّ أنّي مؤمّر** (أي مسلّط وحاكم عليكم) **آمُرُ فأُطاع**».

إنّ الطاعة لا بدّ منها في نظام المجتمع. ومن دون الطاعة لا ينتظم المجتمع... ولكن لا يلجأ الحاكم إلى توظيف موقعه، في تطويعهم لأحكامه إلّا في حالات الضرورة... وفي غير ذلك يحفظ الحاكم نظام المجتمع بالتثقيف والتوجيه والنصيحة بالرفق والإحسان، وليس فقط بالإلزام والتشديد والعنف، كما يفعل الجبابرة.

فإنّ أسلوب العنف والتشديد في التعامل مع الناس من قِبَل الحاكم يؤدّي إلى إفساد قلوب الحاكم أوّلاً، فإنّ القلوب تفسد بالتشديد والتعنيف والاستعلاء على الناس، وإلى إضعاف الدين في حياة الناس، فإنّ الحالة السوية في الدين، أن يحكم الحاكم الناس من غير إكراه وتعنيف، وإذا اضطرّ الحاكم إلى الإكراه والتعنيف كان ذلك بسبب عجزه في الإدارة والحكم، وليس لحاجة الدين إلى التشديد والعنف. فإنّ الله تعالى قد جعل الدين على منهج معتدل سمح من الفطرة لا يُحْوِجُ الحاكم إلى استعمال الشدّة والعنف إلّا في حالات استثنائية.

وإذا أكثر الحاكم من اضطهاد الناس والتشديد عليهم أدّى ذلك إلى إضعاف دور الدين وإنهاكه في المجتمع وفي نفوس الناس... وهذا هو الأثر الثاني في التشديد والعنف.

والأثر الثالث أنّ تراكم العنف والشدّة والاضطهاد في الحكم يؤدّي إلى سقوط الحاكم والنظام، وثورة الناس على الحاكم ولا بدّ أن ينفذ صبر الناس وتحملهم في وقت قريب، فيثور الناس على الحاكم، فلا يستطيع عندئذ أن يقاوم غضب الناس وسخطهم.

ولنستمع إلى الإمام عليه السلام في وصيته لمالك الأشتر رحمه الله: «**ولا تسرعنّ إلى بادرة** (حالات الغضب والانفعال) **وجدت منها مندوحة** (استطعت أن تتفاداها بالحلم والتغاضي وسعة الصدر)، **ولا تقولنّ أنّي مؤمّر** (مسلط عليكم) **آمر فأطاع** (إنّي آمر عليكم الطاعة)، **فإنّ ذلك** (**التبجُّح بالسلطان والشدّة في العمل**) **إدغال** (إفساد) **في القلب، ومنهكة للدين** (ضعف للدين)، **وتُقرّب من الغِيَر** (والغِيَرُ: تقلّب الأحداث السياسية بصورة مفاجئة، فإنّ هذا الإفساد والتبجّح سرعان ما يثير غضب الناس ويثيرهم، فلا يستطيع الحاكم أن يقاوم غضب الناس، فيسقط)».

عندما تتعارض العلاقات الثلاثة

هذه العلاقات الثلاث حقوق... على عُهدة الحاكم أن يفي بها: حقّ الله تعالى عليه، وحقّ الناس، وحقّ نفسه عليه... وكلٌّ منها حقّ، ولا بدّ أن يُعطي لله تعالى حقّه، وللناس حقوقهم، ولنفسه حقّها.

ولا بدّ أن يوازن بين هذه الحقوق والعلاقات، لئلّا يجور ويتجاوز.

والتجاوز الذي يحصل عادة في هذه الحقوق الثلاثة يحصل عادة من ناحية إيثار جانب النفس على حقوق الله وحقوق عباده.

وعندما نقول: «إيثار جانب النفس على حقوق الله وحقوق عباده» نقصد بالنفس معنى أوسع من (الأنا)، يشمل خاصة الإنسان وأهله، والقريبين إليه، ومن له فيه هوى، من بطانته والمتقرّبين إليه، وهؤلاء جميعاً امتداد

للنفس و(الأنا) بشكل أو آخر، فيأخذ الحاكم جانبهم، ويؤثر جانبهم على جانب حقوق الله عليه وحقوق عباده... وهذا هو ابتلاء أغلب الحكام والولاة.

فيأمره الإمام عليه السلام أن ينصف الله تعالى وينصف الناس من نفسه. يعني يُعطي لله تعالى حقّه وللناس حقوقهم الذي جار عليهم لصالحه ولصالح من يميل إليه، وينصف الله، وينصف الناس من نفسه.

يقول عليه السلام في نفس العهد: «**أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنّك إلّا تفعل تظلم**»... إنذار وتهويل.

وهذه الكلمة ذات وقع عجيب في نفس الإنسان «**فإنّك إلّا تفعل تظلم**».

والظلم هو التجاوز على حقوق الآخرين لصالح نفسه، ولصالح من له هوى فيه، ومن الظلم أن يتجاوز الإنسان على حقوق الله تعالى وحقوق عباده، وإن لم ينصف الله من نفسه وينصف الناس من نفسه، فهو يدخل في عداد الظالمين، والظالمون في النار.

العامّة والخاصّة

العامّة والخاصّة تعبير عن تقسيم طبقي في المجتمع، يقوم على أسس غير شرعية من الثراء والسلطان.

وأمّا إذا كان مصدر الثراء والسلطان شرعياً فلن يكون الاختلاف الطبقي داخلاً في هذا التقسيم، ولن يكون موضوع هذا البحث. غير أنّ الثراء المشروع والسلطان المشروع لن يؤدّي في الغالب إلى الفواصل الطبقية الكبيرة إلّا في حالات استثنائية ونادرة، وكلّما وجدنا مجتمعاً طبقيّاً تبتعد طبقاتها بعضها عن بعض بفواصل كبيرة، كالذي نراه في

المجتمعات الرأسمالية في الغرب، فلا بدّ أن يكون هذا الاختلاف الطبقي الكبير حاصلاً من أوضاع غير شرعية في تحصيل المال أو السلطان.

ومهما يكن من أمر: فإنّ (العامّة) في هذا التقسيم، هي المساحة الاجتماعية العريضة المحرومة، والخاصّة هي الطبقة الاجتماعية المحدودة المرفّهة من حيث الثراء والقوية من حيث السلطان والقوّة.

والطبقتان الاجتماعيتان (العامّة والخاصّة) في هذه المجتمعات (القائمة على الثراء والسلطة غير المشروعة) متقاطعتان، ونقصد بالتقاطع: أنّ ثراء وسلطان الخاصّة تتمّ على حساب العامّة، وتتمدّد الخاصّة في ثرائها وسلطانها على مساحة حقوق العامّة في المال والسلطان.

وبناء على ذلك يقول الإمام عليه السلام إلى جانب كلّ ثراء واسع لا يمكن أن يجتمع إلّا من خلال تجاوز لحدود الله في كسب المال وإلى جانب كل تجاوز وكسب غير مشروع للمال حقّ مضيّع للناس، وهي معادلة ثابتة. وعندئذٍ نتساءل كيف يتعامل الحاكم مع هاتين الطبقتين، في المجتمعات التي تتواجد فيها هاتان الطبقتان.

فإنّ هاتين الطبقتين متقاطعتان، لا يمكن أن يجمعهما الحاكم في الرضا، بسبب التقاطع القائم بينهما، لأنّ الخاصة تتمدّد على مساحة حقوق العامّة، فإذا أرضى العامّة يُسخط الخاصّة، وإذا أرضى الخاصّة يُسخط العامّة لا محالة، ولا يمكن أن يكسب الحاكم رضاهما جميعاً، إلّا إذا زالت عنهما حالة التقاطع والتمادي، وتمدّد إحداهما على حقوق الأخرى.

وعندئذٍ فلا بدّ أن يبحث الحاكم عن أجمع مساحة للرضى بينهما،

يعنـي (أوسع مساحة للرضا)[1] داخل المجتمع، حيث لا يمكن أن يُعمّم كل الساحة بالرضا.

والمساحـة الأوسـع في المجتمع التي يجـب أن يُرضيها بالعدل والحقّ، وإن أسخـط الأخرى، هي مساحة العامّة من النـاس (الجمهور)... وذلك لأنّ الخاصّـة هي التي تمـدّدت على حقّ العامّة وليـس العكس... فلا يكون سُخط الخاصّة لكسب رضا العامّة ظلماً وتجاوزاً على حقوق الخاصّة.

وكأنَّ الإمـام عليه السلام يقـول: إذا تعـذّر على الحاكم استرضـاء الجميع، وكان لا بـدّ من تقديم إحداهما على الأخرى... يتعيّن على الحاكم أن يُقدّم رضا العامّة على الخاصّة، شريطة أن يكون ذلك ضمن قواعد الحقّ والعدل، فإنّ رضى العامّة يجبر الخلل الحاصل من سُخط الخاصّة، وسُخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة، وليس العكس، فلا يجبر سخط العامّة رضا الخاصّة.

فاستمع إليـه عليه السلام: «**وليكن أحبّ الأمـور إليك أوسـطها في الحقّ، وأعمّهـا فـي العـدل، وأجمعها لرضـا الرعية، فإنّ سـخط العامّة يجحف** (يُزيـل ويُذهب) **برضـى الخاصّـة، وإنْ سُـخط الخاصّـة يُغتفر مع رضـا العامة**».

وهو كلام تحليل دقيق، حيث لا يتمكّن الحاكم أن يجمع بين رضا العامّة والخاصّـة، فلا بدّ أن يُقـدّم العامّة على الخاصّة. ولكن بشرطين يذكرهما الإمام عليه السلام في نفس الفقرة، وهما إقامة الحقّ والعدل.

«**وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمّها في العدل**».

ثمّ يُبيّن الإمام عليه السلام خصائص كلٍّ من الخاصّة والعامّة.

---

(1) والإمـام عليه السلام يقصـد بـ (الأجمع) (الأوسع) لا محالة، للتفصيل الـوارد في نفس المقطع من عهد الإمـام عليه السلام، الذي يشعر بالتقاطع بين رضا العامّة ورضا الخاصّـة، فلا يمكن الجمع بينهما فإذا رضـي أحدهما سخط الآخر، لا محالة. يقول عليه السلام: «**فإن سُـخط العامّة يجحف برضـا الخاصّـة، وأن سُخط الخاصّة يغتفر مع رضا العامّة**».

خصائص الخاصّة

وأوّل ما يتحدّث عنه الإمام في هذا العهد السمات البارزة في طبقة الخاصّة.

فيقول عليه السلام: «**وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقلّ مؤونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند العطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصة**».

وهذه سبع خصال رديئة في هذه الطبقة:

1. فهي ثقيلة على الولاة في مطالبها في أيّام الرخاء.
2. قليلة العون والنجدة لهم في ساعات الشدّة والابتلاء.
3. كثيرة الإجحاف قليلة الإنصاف.
4. كثيرة الإلحاف والإصرار في المطالب.
5. قليلة الشكر.
6. بطيئة في الإعذار عند المنع.
7. قليلة الصبر في الملمّات.

وهذه الخصائص والخصال التي يذكرها الإمام عليه السلام في هذا العهد تجعل هذه الطبقة طبقة اجتماعية تعيش على البطر، وقليلة الجدوى، غير مقاومة، ولا تصلح لمواجهة التحديات، ولا تقف في الملمّات والشدائد مع الناس، وتكلّف الحاكم وترهقه في مطالبها.

خصائص العامّة

ثمّ يتحدّث الإمام عليه السلام بعد ذلك عن قيمة العامة فيقول عليه السلام: «**وإنّما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدّة للأعداء العامّة من الأمّة**».

وهذه ثلاث خصال:

1. هم عماد الدين، يتقوّم بهم الدين في مواجهة التحديات التي تُهدّد سلامة الدين وبقاءه.
2. وهم جمهور الأمّة (جماع المسلمين) وهم السواد الأعظم من المسلمين، وعليهم تنزل الرحمة والبركة والنصر من عند الله.
3. وهم العدّة للأعداء... التي تمتلك المقوّمات، وتختزن كل المقاومة التي تحتاجها الأمّة في أيّام البأساء والشدّة.

إيثار العامّة على الخاصّة

والنتيجة التي يستنتجها الإمام عليه السلام من هذه المقارنة بين العامّة والخاصّة هو إيثار العامّة على الخاصّة، بالعدل والحقّ فهي قوام الدين وجمهور الأمة، والعدّة للمقاومة في أيّام البأساء والشدّة.

فيقول عليه السلام: «**فليكن صغوك** (ميلك) **لهم، وميلك معهم**».

سلسلة في رحاب نهج البلاغة

الفصل الثاني

نماذج من الإصلاحات الإدارية

في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام

سياسة الإمام علي عليه السلام الإدارية والاقتصادية

استمرّت حكومة أمير المؤمنين عليه السلام من الفترة 35 إلى 40 للهجرة، وتكون فترة حكمه قد بلغت أربع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيّام.

وقد كانت سياسة الإمام الإدارية والاقتصادية تنطلق من ثوابت لا يطيقها سواه، وأهم هذه الثوابت العدل.

فقد ورد عنه عليه السلام: «**اعدل تحكم**»[1]، وقوله: «**العدل أفضل السياستين**»[2]. فيكون العدل هو المحور الرئيس الذي تدور حول سياسته عليه السلام وحركته الإصلاحية عموماً.

وإليك بعض النماذج من التراث الإداري في سيرة الإمام علي عليه السلام:

أوّلاً: السياسة الإدارية

تميّزت سياسته الإدارية بعدم المداهنة مع الباطل وعدم القبول بأنصاف الحلول، وقد تجلّى في عزل عمّال بيت المال ، واسترداد ما أخذ ووزّع من أموال بيت المال.

1. عزل الولاة الفاسدين

يقول أرباب السير: أنّه لمّا بويع أمير المؤمنين عليه السلام بلغه أنّ معاوية قد توقّف عن إظهار البيعة له، وقال: إن أقرّني على الشام، وأعمالي التي ولّانيها عثمان بايعته، فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له:

---

(1) الشيخ الريشهري، ميزان الحكمة، ج 6، ص 2425، عن غرر الحكم.

(2) م.ن، ص 2424.

يـا أميـر المؤمنيـن إنّ معاوية من قـد عرفت، وقد ولّاه الشـام من قد كان قبلك، فولّه أنت كيما تتّسق عرى الأمور، ثم اعزله إن بدا لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أتضـمن لي عمري يـا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه**»، قال: لا. قال: «**لا يسألني الله عز وجل عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾**[1] **لكـن أبعـث إليه وأدعـوه إلى ما في يدي من الحقّ، فـإن أجاب فرجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله**»[2].

لقـد كان بإمـكان الإمـام عليه السلام أن يُبقـي معاوية، وله فـي ذلك عذر واضـح، لأنّ الظروف السياسية المحيطة به لا تسمـح له بعزل هذا الوالي العنيـد الـذي أقامه من قبله مـن الخلفاء، وبسط له الملـك والولاية، وهو يحكم واحدة من أكبر الأقاليم الإسلامية وأغناها، وهي الشام، وقد هيمن عليها وعلى أهلها بشكل يتعذّر عليه إزاحته.

ولكـن الإمـام لا يقبـل عليه السلام بأنصاف الحلـول وإنْ حقّقت لـه إنجازاً سياسيـاً مؤقّتـاً، فإنّ مجرّد الإمضـاء على بقاء معاوية ولـو لفترة قصيرة بمعنى إعطاء معاوية مشروعيّة البقاء، والسكوت عن الفساد الإداري الذي كرّسه معاوية في السابق. وما يدري علي عليه السلام، إذا أمضى هذه السياسة الأمويـة الفاسدة مؤقّتاً أن يطول به العهد لينقضه بعد ذلك، ولعله لا يطول به الأمر لهذه المرحلة الثانية، أو لا يقوى على ذلك.

فيكـون قد أمضاه باختياره، ولم يتمكّن بعـد ذلك من نقضه، وهو ما لا يريده أبو الحسن عليه السلام أبداً وبأي ثمن.

---

(1) سورة الكهف، الآية51.

(2) موسوعـة الإمـام علي بن أبي طالب عليه السلام، ح 4، ص 117 نقلاً مـن أمالي الشيخ الطوسي، ص 87، وبشارة المصطفى، ص 263 والمناقب لابن شهر آشوب، ج 3، ص 195.

وهـذا هو معنى كلامـه للمغيرة بن شعبـة الذي نصحـه بإبقاء معاوية بصورة مؤقّتة.

2. استرداد أموال بيت المال

وكان الإنجاز الآخر هو استرداد أموال بيت المال، وبحسب قوله عليه السلام عندمـا خطب فـي اليوم الثاني مـن بيعته بالمدينة أن كلّ مـال مردود إلى بيـت المال، ومما قاله عليه السلام: «... **فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شـيء، ولو وجدته وقد تزوّج به النساء، وفرّق في البلدان، لردّدته إلى (بيت المال)، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحقّ فالجور عليه أضيق**»[1].

لقد استرجع الإمام عليه السلام أموال بيت المال، وهو يعلم أنّه عليه السلام بهذا الإجراء الصارم، سوف يجرّ على نفسه الكثير من الأزمات في حكومته.

3. الالتزام بالقانون

والجانـب الآخـر فـي سياسته الإداريـة هـو الالتـزام بالقانـون تجاه المتخلّفيـن من القانـون مهما كان المذنب يتمتّـع بالحصانة العشائرية أو المالية.

تأمّـل في هذه الصورة الرائعة التـي يرسمها لنا الإمام الباقر عليه السلام، عن سيرة الإمام علي عليه السلام في تطبيق قوانين الدولة.

فقـد ورد عنه عليه السلام أنّه أخذ رجلاً من بني أسد في حدّ، فاجتمع قومه ليكلّمـوه فيه، وطلبوا إلى الحسن أن يصحبهـم، فقال: ائتوه فهو أعلى بكم عينـاً، فدخلـوا عليه وسألوه، فقـال: لا تسألونـي شيئاً أملـك إلّا أعطيتكم فخرجـوا يرون أنّهم قد أنجحوا، فسألهم الحسن، فقالوا: أتينا خير مأتيّ.

(1) موسوعـة الإمـام علي بن أبي طالـب عليه السلام، ج 4، ص 121، عن شرح النهج لابـن أبي الحديد، ج 1، ص 269.

وحكوا له قوله، فقال: «**ما كنتم فاعلين إذا جلد صاحبكم فاصنعوه، فأخرجه علي فَحَدّه**»، ثم قال: «**هذا والله لستُ أملكه**»[1].

بل إنّه عليه السلام أقام الحدّ على شاعره عندما شرب الخمر، وهو يعلم أنّ عاقبة ذلك غضب الشاعر والتحاقه بمعسكر معاوية، وانحراف أقاربه الذين كانوا من المقرّبين عند الإمام عليه السلام الذين دخلوا على الإمام وهم في فورة الغضب والاعتراض، فكان جوابه عليه السلام لهم، وهل هو إلّا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[2] [3].

4. عزل من ثبتت خيانته من العمّال ومحاسبته

وهذه صورة أخرى للحملة العلوية الشاملة لتطهير الدولة من العناصر، وهذه سودة بنت عمارة الهمدانية، تصف لنا صرامة الإمام عليه السلام مع عمّاله الذين تثبت خيانتهم حيث تقول وهي تخاطب معاوية لتقارن بين ظلمه وجوره، وعدل أمير المؤمنين عليه السلام:

لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا، فجار علينا فصادفته قائماً يريد الصلاة، فلمّا رآني انفتل، ثم أقبل عليّ بوجه طلق، ورحمة ورفق، وقال: لك حاجة؟ فقلت: نعم، وأخبرته بالأمر فبكى، ثم قال: اللهم أنت شاهد أنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقّك. ثم أخرج من جيبه قطعة جلد، وكتب فيها:

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، ص 130، نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب، ج 2، ص 147، ودعائم الإسلام، ج 2، ص 443، وبحار الأنوار، ج 41، ص 9.

(2) سورة المائدة، الآية 8.

(3) روى هذه الرواية صاحب الغارات، ح 2، ص 533 وابن شهر آشوب في المناقب، ج 2، ص 147، والمجلسي في البحار، ج 41، ص 9.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتى يُقدم عليك من يقبضه. والسلام.

ثم دفع إليّ الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنّا معزولاً[2].

إنّ الملاحقة للمفسدين وعدم التهاون معهم تؤدّي بلا شكّ إلى الحياة الطيّبة التي يُظلّلها العدل والقانون، وهذا الرفض العلوي للشفعاء الذي يحاولون التوسّط للمذنبين يؤسّس للثقافة الإدارية التي يريدها الإسلام، ولسيادة القانون وخضوع الجميع له.

فليس من العدل أن تُطبّق مبادئ القانون بحذافيرها على الفقراء ويُستثنى منها الأغنياء وأصحاب النفوذ.

5. نهي العمّال عن أخذ الهديّة

روي أنّ علياً عليه السلام استعمل رجلاً من بني أسد يقال له: ضبيعة بن زهير، فلمّا قضى عمله أتى علياً بجراب فيه مال، فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام، إنّ قوماً كانوا يهدون لي حتى اجتمع منه مال فها هو ذا، فإن كان لي حلالاً أكلته، وإن كان غير ذاك فقد أتيتك به، فقال عليّ عليه السلام: «**لو أمسكته لكان غلولاً. فقبضه منه وجعله في بيت المال**»[3].

ومعنى الغلول: الخيانة.

والإمام عليه السلام يريد بهذه الإجراءات الشديدة أن يحصّن الموظّفين في دولته من خطر الهدايا، فإنّها مقدّمة للانحراف والفساد.

---

(1) سورة الأعراف، الآية 85.

(2) الشيخ بهاء الدين الأربلي، وكشف الغمّة، ج 1، ص 173.

(3) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، ص 155 نقلاً عن أخبار القضاة، ج 1، ص 59.

لأنّ الغنـي وصاحـب النفوذ وحده مـن يستطيع تقديـم الهدايا وإقامة الولائـم للمسؤوليـن وكان الأولـى أن تكـون مـن نصيب الفقـراء، ولكنّهم يريدون بذلك شراء ضمائر الموظّفين واستغلال مواقعهم في الدولة.

6. اختيار العيون لمراقبة العمّال

ورد فـي كتـاب أميـر المؤمنين عليه السلام إلى كعب بـن مالك: «**أمـا بعد، فاستخلف على عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمرّ بأرض كورة السواد، فتسأل عـن عمّالـي، وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب**»[1].

هكـذا كان يتابع عمّاله وولاته حتى يشعـروا بعيونه تراقبهم في المواقع التي يديرونها.

فـإنّ الرقابـة المستمـرّة بلا شـكّ تمنع مـن التحلّل والفسـاد الإداري والمالي.

ثانياً: السياسة الاقتصادية

1. مراقبة السوق

ورد عـن الإمـام الباقـر عليه السلام أنّه قـال: كان أميـر المؤمنين عليه السلام بالكوفة عندكم يغتدي كل يوم بكرة من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومع الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تُسمّى السبيبة، فيقف على أهل كل سوق، فينادي: يا معشر التّجار، اتقوا الله عز وجل.

فـإذا سمعـوا صوته عليه السلام ألقـوا ما بأيديهـم، وارعوا إليـه بقلوبهم،

(1) موسوعـة الإمـام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، صـ 138 – 139 نقلاً عن تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 204.

وسمعوا بآذانهم، فيقول عليه السلام: «**قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين**»، فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة، ثم يرجع فيقعد للناس[1].

لا بدّ من وجود رقابة اقتصادية صارمة للسوق في تفاصيل البيع والشراء، والمعاملات التجارية الأخرى، وفي خلاف ذلك فإنّ السوق سوف يتحوّل إلى مركز للفساد الاقتصادي.

ويصف لنا الإمام الحسين عليه السلام حركة الإمام علي عليه السلام في أسواق الكوفة بشكل تفصيلي.

فقد ورد عنه عليه السلام: أنّ (علياً عليه السلام) ركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشهباء بالكوفة، فأتى سوقاً سوقاً، فأتى طاق اللحّامين، فقال بأعلى صوته: «**يا معشر القصّابين، لا تنخعوا، ولا تعجّلوا الأنفس حتى تزهق، وإيّاكم والنفخ في اللحم للبيع، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن ذلك**». ثمّ أتى التمّارين فقال: «**أظهروا من رديء بيعكم ما تظهرون من جيّده**».

ثمّ أتى السّمّاكين فقال: «**لا تبيعوا إلّا طيباً، وإيّاكم وما طفا**».

ثمّ أتى الكُناسة فإذا فيها أنواع التجارة، من نحاس، ومن مائع، ومن قماط، ومن بائع ابر، ومن صيرفي، ومن حناط، ومن بزّاز، فنادى بأعلى صوته: «**إنّ أسواقكم هذه يحضرها الأيمان، فشوبوا أيمانكم بالصدقة،**

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، ص 176 نقلاً عن الكافي، ج 5، ص 151، وتهذيب الأحكام، ج 6 – 7، ص 17، وأمالي المفيد، ص 197.

وكفّوا عن الحلف، فإنّ الله عز وجل لا يُقدّس من حلف باسمه كاذباً»[1].

هكذا، ينزل الإمام عليه السلام بنفسه إلى السوق وبيده الدُرّة لينذر المطفّفين والذين يغشّون في تجارتهم. ويباشر هذا العمل الشاق بنفسه، ولا يكله إلى غيره ليطمئن بنفسه إلى سلامة حركة التجارة في السوق.

قال الأصبغ: قلتُ له يوماً أنا أكفيك هذا يا أمير المؤمنين، واجلس في بيتك! فيقول له الإمام عليه السلام: «**ما نصحتني يا أصبغ**»[2].

لقد كان المجتمع الإسلامي يومذاك، بعد ما دبّ فيه الفساد الإداري والمالي بحاجة إلى نزول أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه إلى السوق، ليدرك الناس أهمية العدل في أسواق المسلمين.

وقد كان الإمام عليه السلام يُمثّل هذه السلطة ويدخل في أوساط الناس ليتعلّموا منه احترام النظام وتطبيق مبادئ القانون.

2. التسامح في أسلوب جباية الخراج

يصف أحد الرجال الذين استعملهم الإمام علي عليه السلام لأخذ الخراج، فيقول استعملني علي بن أبي طالب عليه السلام على بزر جسابور، فقال: «**لا تضربنّ رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تبيعنّ لهم رزقاً، ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقم رجلاً قائماً في طلب درهم**».

قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إذاً أرجع إليك كما ذهبت من عندك! قال: «**وإن رجعت كما ذهبت، ويحك إنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو**» – يعني الفضل[3].

---

(1) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، ص 176 – 177 نقلاً عن الجعفريات 238، ودعائم الإسلام، ج 2، ص 538.

(2) م.ن، ج 4، ص 177.

(3) م.ن، ص 183 – 184 نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي، ج 9، ص 345.

3. عدم التأخير في توزيع أموال العامّة

ويروي أحدهم أنّه قال: شهدتُ علي بن أبي طالب عليه السلام أُتي بمال عند المساء، فقال: «**أقسموا هذا المال**»، فقالوا: قد أمسينا يا أمير المؤمنين! فأخّره إلى غد. فقال لهم: «**تقبلون - أي تكفلون - لي أن أعيش إلى غد**»؟ قالوا: ماذا بأيدينا!

قال: «**فلا تؤخّروه حتى تقسّموه**»، فأتي بشمع، فأقسموا ذلك المال من تحت ليلتهم[1].

4. التوزيع بالسويّة

في الكافي عن أبي مخنف: أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة، فقالوا: يا أمير المؤمنين، لو أخرجت هذه الأموال ففرّقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف، وفضّلتهم علينا، حتى إذا استوثقت الأمور عدّت إلى أفضل ما عوّدك الله من القسم بالسوية، والعدل في الرعية!!، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أتأمروني - ويحكم - أن أطلب النصر بالظلم والجور فيمن وليتُ عليه من أهل الإسلام!! لا والله لا يكون ذلك ما سمر السمير، وما رأيت في السماء نجماً، والله لو كانت أموالهم مالي لساويتُ بينهم، فكيف وإنّما هي أموالهم**»!!.

وهذه دروس قيادية يرسلها أمير المؤمنين عليه السلام عبر التاريخ إلى كل من يتصدّى لموقع قيادة الجماعة المؤمنة وإدارتها، ليتعلّم هذه القوّة والصرامة في الحقّ والرحمة والتسامح مع الطبقة المستضعفة من الناس.

وسبحان الذي جمع في علي عليه السلام هذه الأضداد من الصفات: اللين، والرحمة، والرقة، والعاطفة، من جانب، والصرامة، والقوّة، والحسم، والحزم، من جانب آخر... كلٌّ في موقعه.

---

(1) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص 404، وتنبيه الخواطر، للشيخ ورّام، ج 2، ص 173، والمناقب لابن شهر آشوب، ج 2، ص 95.

ثالثاً: السياسة الأمنية

ورد عـن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «**شـرّ البلاد بلـد لا أمن فيه، ولا خصب**»[1].

وفي هذا الجانب من قيادتـه وإدارته عليه السلام نشير إلى النقاط التالية: الإجراءات الأمنية التي اتخذها الإمام عليه السلام في دولته.

1. الاستخبارات الأمنية

فـي كتابه عليه السلام إلى عمّاله يقول: «**بسـم الله الرحمـن الرحيم - من عبـد الله علـي أميـر المؤمنين إلـى من قرأ كتابـي هذا من العمّـال: أمّا بعـد فـإنّ رجالاً لنـا عندهم بيعة خرجوا هرباً فنظنّهـم وجّهوا نحو بلاد البصـرة، فاسـأل عنهم أهل بـلادك، واجعل عليهم العيـون في كل ناحية من أرضك، ثم اكتب إليّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام**»[2].

وقـد كان الإمـام علي عليه السلام حريصـاً مهتمّاً بالاستخبـارات بمعناها الحديـث فـي حروبه، فقـد روي أنّـه في وقعـة صفّين بعـث عليه السلام خيلاً ليحبسوا عن معاوية مادة، فبعث معاوية الضحّاك بن قيس الفهري في خيل إلى تلك الخيل فأزالوها، وجاءت عيون علي فأخبرته بما قد كان، فقال علي لأصحابه: «**فما ترون فيما ها هنا**»، فقال بعضهم: نرى كذا، وقال بعضهم: نـرى كذا. فلمّا رأى ذلك الاختلاف أمرهم بالغدو إلى القوم، فغاداهم إلى القتال قتال صفين فانهزم أهل الشام[3].

2. إجلاء المتآمرين أو حبسهم

روي أنّ أمير المؤمنيـن عليه السلام استخلف حين سار إلى النهروان رجلاً

(1) الآمدي، غرر الحكم، حكمة 5، ص 674.

(2) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 33، ص 407.

(3) موسوعة علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، ص 269 نقلاً عن وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص 360.

مـن النخع يقال له: هاني بن هوذة، فكتب إلى علي عليه السلام: أنّ غنياً وباهلة فتنـوا، فدعوا الله عليك أن يظفر بك عدوك، قال: فكتب إليه علي عليه السلام: «**أجْلِهم (من مادّة الإجلاء) من الكوفة ولا تدع منهم أحداً**»[1].

رابعاً: السياسة العسكرية

خاضـ أمير المؤمنيـن عليه السلام في فتـرة حكومته ثلاث حـروب رئيسة هي الجمل، وصفين والنهـروان. وقد حقّق انتصارات عظيمة، ولولا تخاذل جيشه في صفّين لتمكّن من اكتساح جيش الشام والقضاء على نفوذ معاوية.

هـذه الانتصارات لم تـأت من فراغ بـل مـن الإدارة العسكرية للجيش وللعمليـات القتاليـة، ومن خلال التنظيـم الدقيق للقـوّات المسلّحة. يقول ابـن عباسـ: عُقـم النسـاء أن يأتيـن بمثـل أميـر المؤمنين علي بـن أبي طالب عليه السلام، والله ما رأيت ولا سمعت رئيساً يوزن به، لو رأيته يوم صفين وعلـى رأسه عمامة قد أرخى طرفيها، كأن عينيـه سراج سليط، وهو يقف على شرذمة يحضّهم...[2].

وقد تجلّت عبقرية الإمام عليه السلام الإدارية لقوّاته المسلّحة بعدّة أمور:

1. تنظيم الجيش

روي أنّ أميـر المؤمنيـن عليه السلام إذا زحف للقتال جعـل ميمنة وميسرة وقلبـاً يكـون هو فيه، ويجعل لهـا روابط، ويقدم عليهـا مقدّمين، ويأمرهم بخفضـ الأصوات، والدعـاء، واجتماع القلـوب، وشهر السيـوف، وإظهار العدّة، ولزوم كل قوم مكانهم، ورجوع كل من حمل إلى مصافه بعد الحملة.

وفي وصيته عليه السلام وصّى بها جيشاً بعثه إلى العدو: «**فإذا نزلتم بعدو أو**

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 4، ص 282 – 283 عن كتاب الغارات ج 1، ص 18.
(2) م.ن، ج 42، ص 460.

نزل بكم فليكن معسكركم في قُبُل[1] الإشراف، أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار، كيما يكون لكم درءاً، ودونكم مرداً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين.

واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال، ومناكب الهضاب، لئلّا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن، واعلموا أن مقدّمة القوم عيونهم، وعيون المقدّمة طلائعهم.

وإيّاكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة، ولا تذوقوا النوم إلّا غراراً أو مضمضة»[2].

هذه الوصية تُذكّرنا بقيادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لجيشه في معركة أحد، وكيف أنّه وضع العيون على الجبل، وكانت تقود المسلمين إلى النصر الأكيد لولا مخالفة الرماة تعاليمه صلى الله عليه وآله وسلم.

2. تأسيس القوّات الخاصّة

وقد قام أمير المؤمنين عليه السلام بتأسيس شرطة الخميس وكان قوامها ستة آلاف رجل من أصحابه المخلصين[3] وقد ضمّت في قياداتها أسماءً لامعة مثل عمّار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وأصبغ بن نباتة، وميثم التمّار، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر الأسدي، ومحمد ين أبي بكر، وقنبر مولاه وغيرهم من أصفياء أصحابه.

(1) قبل الإشراف، سفوح المرتفعات.

(2) ابن شعبة، تحف العقول، ص 192.

(3) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص 2.

ويبدو أنّ هذه القوّة الخاصّة ادخرها الإمام عليه السلام للتدخُّل في المهمّات الخاصّة التي تتطلّب مواصفات خاصّة في شخصية المقاتل.

ويصف الأصبغ بن نباتة هذه القوّة لرجل سأله: ما كان منزلة الإمام علي عليه السلام فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول! إلّا أنّ سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومئ إليه ضربناه بها.

وكان يقول: «**تشرّطوا، فوالله ما اشتراطكم لذهب ولا لفضة، وما اشتراطكم إلّا للموت، إنّ قوماً ما من قبلكم من (بني إسرائيل) تشارطوا بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبي قومه، أو نبي قريته، أو نبي نفسه، وإنّكم لبمنزلتهم، غير أنّكم لستم بأنبياء**»[1].

ومن هذا الوصف يتضح أنّ السمة الأساس التي تميّزت بها هذه القوّة الضاربة هي الطاعة الكاملة لأوامر الإمام عليه السلام. والخضوع الكامل لإرادته عليه السلام خضوع الذي لا يناقش ولا يحتج ولا يعترض، فإنّ الأسماء التي ضمّها كيان شرطة الخميس بلغت في مستوى الإخلاص والانقياد لأوامر الإمام عليه السلام ما جعل أصحابها مؤهّلة تأهيلاً تامّاً لهذه المهمّة الخاصّة.

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: «**أبشر يا بن يحيى، فإنّك وأبوك من شرطة الخميس حقّاً، لقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسمك واسم أبيك في شرطة الخميس، والله سمّاكم شرطة الخميس على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم**». وذكر أنّ شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل أو خمسة آلاف[2].

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 4، ص 292 – 293.

(2) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ج 4، ص 294 نقلاً عن رجال الكشي، ج 1، ص 24.

3. الحرب خدعة

عن عدي بن حاتم: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال يوم التقى هو ومعاوية بصفّين، ورفع بها صوته ليسمع أصحابه: «**والله لأقتلن معاوية وصاحبه**»، ثمّ يقول في آخر قوله: «**إن شاء الله**» – يخفض بها صوته –.

وكنت قريباً منه، فقلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام إنّك حلفت على ما فعلت، ثمّ استثنيت، فما أردت بذلك؟! فقال لي: «**إنّ الحرب خدعة، وأنا عند المؤمنين غير كذوب، فأردت أن أُحرّض أصحابي عليهم كي لا يفشلوا، وكي يطمعوا فيهم، إن شاء الله**»[1].

4. المسالمة من دون وهن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وجدتُ المسالمة ما لم يكن وهن في الإسلام أنجع من القتال**»[2].

وعنه عليه السلام: «**من أفضل النصح الإشارة بالصلح**»[3].

وفي عهده إلى مالك الأشتر: «**ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك، ولله فيه رضى، فإنّ في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك. ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإنّ العدو ربما قارب ليتغفّل، فخذ بالحزم، وآتهم في ذلك حسن الظن**».

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 4، ص 303 – 304.

(2) غرر الحكم، 10381.

(3) م. ن، 9379.

سلسلة في رحاب نهج البلاغة

الفصل الثالث

مجموعة من المبادئ الإدارية

من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

مدخل

فيما يلي نحاول إن شاء الله، أن نستعرض طائفة من مفردات الخصال القيادية والإدارية في الثقافة الإدارية في الإسلام مسندة بكلمات أمير المؤمنين عليه السلام.

1 . التوكّل والتفويض والاستشارة

هـذان المفهومان، مفهومـان حركيـان، نابعان من التوحيـد، ويمنحان الإنسان قدرة فائقة وكفاءة عالية على التحرُّك في ساحات الحياة العريضة. وهما يسلبان الإنسان كلّ حالة للتردّد والضعف والخوف في العمل.

فـإنّ التوكّل والتفويض يقومان على أساس حالة نفسية ثابتة ومطمئنة للعبـد. وهذه الحالـة النفسية المطمئنة بالله تعالى تمنـح الإنسان القدرة والقوّة والمعنوية العالية في العمل.

وقد وعد الله تعالى عباده أن يكفي المتوكّلين عليه، يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[1] و(حَسْبُهُ) يعني: يكفيـه من كلّ شيء فإنّ الله يكفي من كلّ شيء ولا يكفي عنه شيء.

وكفاية الله تعالى لعبـده سُنّة مشروطة من سُنن الله. وهذا الشرط هو التـوكّل على الله، فمن يتوكّل على الله يكفيـه الله وهو حسبه. يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾.

وهـذا هـو معنـى السنـن المشروطـة، بخـلاف السنـن القطعية غير المشروطـة فهي غير مرتبطة بشرط، نحـو قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[2].

---

(1) سورة الطلاق، الآية 3.

(2) سورة البقرة، الآية 155.

فـإن الابتـلاء سُنّة مطلقـة وغيـر مشروطة. والتـوكّل هو أحـد وجهي القـرار. والوجه الآخر للقرار هو (الاستشارة). وتتمّ الاستشارة في مرحلة التحضير للقرار، بالتـداول والمناقشة مع أصحاب الرأي. وهذا هو الوجه الآخر للقرار.

الوجـه الأوّل هو (التوكّل) في مرحلة التنفيذ والعـزم. وأما الاستشارة ففـي مرحلة التحضيـر للقرار، وهي تنفع فـي تنضيج القـرار والتوكّل في مرحلـة العزم والتنفيذ في كبح (الأنا) في مرحلة القرار والعزم والتنفيذ، وتعميق اعتماد العبد على الله تعالى وحوله وقوّته.

وعن هذيـن الوجهين للقرار يقول تعالـى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

وعندمـا يتوكّل العبد علـى الله يعينه الله في شأنه ويسدّده ويأخذ بيده، ويذلّل أمامه العقبات الصعبة.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من كان متوكّلاً على الله لم يُعدم الإعانة**»[2].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**من توكّل على الله ذلّت له الصعاب وتسهّلت عليه الأسباب**»[3].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**ليس لمتوكّل عناء**»[4].

وعنـه عليه السلام: «**يا أيّها الناس توكّلوا علـى الله، وثقوا بـه، فإنّه يكفي من سواه**»[5].

وناهيـك بذلك، فإنّ الإنسـان لا يتوكّل على الله ولا يضـع ثقته بالله إلّا

(1) سورة آل عمران، الآية 159.
(2) الآمدي، غرر الحكم، 8128 – 9028 – 7451.
(3) م. ن.
(4) م. ن.
(5) المتقي الهندي، كنز العمّال، 8513.

إذا كان واثقاً بأنّ الله يكفيه من كلّ شيء، فإذا توكّل على الله بهذه الثقة والإيمان كفاه الله من كلّ شيء.

والتوكّل على الله يمنح صاحبه النور الذي يعرف به الشبهات والأخطاء فيتجنّبها. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من توكّل على الله أضاءت له الشبهات**»[1].

ولكن علينا أن نُميّز بين الصحيح والخطأ في معنى التوكّل.

الصحيح في معنى التوكّل أن يبذل الإنسان جهده في التفكير والتخطيط والاستشارة والدراسة الموضوعية والاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم، ويجعل الله تعالى وكيلاً عن نفسه في تسديده وإنجازه وتجنيبه الأخطاء. وتوفيقه للنجاح... وهذا هو الصحيح في معنى التوكّل... والخطأ في تفسير التوكّل أن يترك الإنسان الأمر على عواهنه، ويقعد عن الحركة والتفكير والاستشارة والدراسة والتخطيط والنزول إلى ساحات العمل ويتوكّل على الله.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه مرَّ بقوم أصحّاء جالسين في زاوية المسجد فقال: «**من أنتم**»؟ قالوا: نحن المتوكّلون قال عليه السلام: «**لا بل أنتم المتأكّلة فإن كنتم متوكّلين ما بلغ بكم توكّلكم**»؟ قالوا: إذا وجدنا أكلنا وإذا فقدنا صبرنا. قال عليه السلام: «**هكذا تصنع الكلاب عندنا**».

قالوا: فما نفعل؟ قال: «**كما نفعل**». قالوا: كيف تفعل؟ قال عليه السلام: «**إذا وجدنا بذلنا، وإذا فقدنا شكرنا**»[2].

وقال عليه السلام لابنه محمّد بن الحنفية لمّا أعطاه الراية، يوم الجمل: «**تزول الجبال ولا تزل، غضّ على ناجذك. أعر الله جمجمتك، ثبت**

(1) الآمدي، غرر الحكم، 8985.

(2) الميرزا النوري، مستدرك وسائل الشيعة، ج 11، ص 220.

في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم، وغضّ بصرك، واعلم أنّ النصر من عند الل»ه[1].

صحيح أنّ النصر من عند الله، ولكن هذه السنّة مشروطة بالثبات والمقاومة وصلابة الموقف... عندئذٍ ينصر الله تعالى عبده. فيقول لابنه محمد: أن يثبّت في الأرض قدميه، ويرم ببصره أقصى القوم، ويتقدّم غير متهيّب ممّن يحول بينه وبين القوم.

ثمّ يقول له: واعلم أنّ النصر من عند الله، وهو جوهر الأمر والإيمان.

والتفويض أن يضع الإنسان نفسه وتصرّفه وإرادته وعقله تحت تصرّف الله تعالى، يوجّهه كيفما يريد، فيعمل بما يريد الله ويختار له. وليس معنى ذلك أن لا يُخطّط ولا يُفكّر ولا يحاول، وإنّما معنى ذلك أن يجعل تفكيره وعزمه وتدبيره وسعيه تحت تصرّف الله ليوجّه الله فكره وعزمه، كما يجب ويريد.

وأثر التفويض في حركة العبد: التسديد، والتأييد، والتبصير من الله تعالى لعبده، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[2]. وأثره في نفس العبد: الاطمئنان والثقة بالله في الحركة. فإنّ الإنسان إذا شعر بأنّ حركته وعمله من تدبير الله، وأنّ الله يتولّى تدبير أمره، ويوجّهه، ويبصّره يكتسب قوّة ومعنوية عالية في العمل.

إنّ (العمل) و(الحركة) في ساحات الحياة يمكن أن تكون سُلّماً يرفع الإنسان إلى قمم التوحيد، إذا شدّ الإنسان حركته وعمله بالله تعالى توكّلاً وتفويضاً.

ويمكن أن يكون عمله وحركته حجاباً بينه وبين الله إذا قطع حركته وعمله عن الله وشدّه بحجاب الأنا.

فإنّ الحركة والعمل بهذا الاتجاه يُصيبه بخيبة كبيرة في حال الفشل،

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الخطبة 12.
(2) سورة غافر، الآية 472.

وبنشوة الذات والأنانية في حالة النجاح. وكلاهما ضارّان.

إنّ أعمالنا في الحياة يمكن أن نُحوّلها إلى مراقي ومعارج للعروج إلى الله، وتعميق حالة الارتباط بالله والعبودية لله تعالى، ويمكن أن تتحوّل إلى حجب كثيفة، غليظة تحجب صاحبها عن الله تعالى حجاباً تامّاً.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، كما في رواية ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في الكافي:

«**الإيمان له أركان أربعة: التوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عز وجل**»[1].

وهذه أربع خصال كما يقول الإمام علي عليه السلام، وهي في نفس الوقت الأركان الأربعة للمشاريع القيادية والإدارية التي ينهض بها عباد الله الصالحون.

فإنّ التوكّل على الله والتفويض إلى الله بشروطها وهو الاستشارة والتفكير والتخطيط والإعداد الصحيح يُحقّق التسديد من الخطط والمشاريع الإدارية والقيادية.

والرضا والتسليم لله يُطمئنان العبد ويبعثان في نفسه السكينة والطمأنينة، وهما أهمّ شروط القيادة والإدارة الناجحة التي تتجاوز العقبات بثقة وطمأنينة وثبات.

2. الدقة في القرار

ينبغي أن يراعي القرار عدة أمور أهمها:

العنصر الأوّل: أن يكون القرار سديداً صالحاً:

ولإحراز ذلك لا بدّ من اتخاذ القرار بالتأنّي والدراسة المعمّقة والنظر

(1) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 47.

فـي أبعاده فـلا يكون القرار هشّـاً سريعاً كردّ فعل للظـروف الطارئة التي تستفزّ المسؤولين فتضطرّهم لاتخاذ القرار المستعجل.

بـل يجـب التخطيط الدقيـق وإجراء مقارنـة بين احتمـالات الخسارة واحتمالات النجاح.

يـروى أنّـه جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال: يا رسـول الله أوصني، فقال ﷺ «**فهل أنت مستوص إن أوصيتك**»؟ حتـى قال ذلك ثلاثاً. وفي كلّهـا يقـول الرجل: نعـم يا رسـول الله، فقال لـه رسـول الله ﷺ: «**فإنّي أوصيك إذا أنـت هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يك رشداً فأمضه وإن يك غيّاً فانته عنه**»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من تورّط في أمر بغير نظر إلى عواقبه فقد تعرّض للنوائب**»[2].

وعنـه عليه السلام قال لعبد الله بن جندب: «**وقفْ عند كلّ أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم**»[3].

فالقـرار ليس أمـراً شخصياً لكي يغامـر القائد باتخـاذه وتنفيذه، بل يشمل مصير الأمّة والجماعة برمّتها.

ومن هنـا يأمـر أميـر المؤمنيـن عليه السلام المسؤولين بالتدبُّـر الشديد قبـل الندم من التسرُّع فـي القرار بقوله: «**التدبُّر قبـل العمل يؤمنك من الندم**»[4].

العنصـر الثاني: مشاركة الناس في القرار لكي تضمن القيادة دعمهم

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 71، ص 339.

(2) م.ن، ج 77، ص 238.

(3) ابن شعبة، تحف العقول، ص 216.

(4) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 71، ص 338.

لها. فالحاكم المستبدّ الذي يستأثر بالقرار وينفرد به لا يكسب الناس إلى جانبه. ومن أسرار الاستشارة كسب الناس.

وهذا المعنى واضح في آية الشورى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1].

ويذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أهمية الشورى بقوله: «**أما إنّ الله ورسوله لغنيّان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمّتي، فمن استشار منهم لم يقدم إلّا رشداً، وما لم يستشر لم يقدم إلّا غياً**»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها**»[3].

فالاستشارة تحفظ الإنسان من مهالك الاستبداد، ومن أخطار الأخطاء التي تفقد ثقة الناس بقائدهم، لأنّها تُثير الشكوك حول قدرته على إدارة الأمور، وهذه الشكوك وحدها تكفي في تخريب علاقة القائد بجمهوره.

ولكن ينبغي أن نفهم أنّ الشورى لولي الأمر إذا كانت واجبة لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فهي غير ملزمة لعدم وجود دليل على الإلزام، ولأن الآية الكريمة تربط التنفيذ والعمل بعزم الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[4].

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لابن عباس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق عليه: «**عليك أن تشير عليَّ فإذا خالفتك فأطعني**»[5].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 159.

(2) السيوطي، الدر المنثور، ج 2، ص 90.

(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الكلمات القصار، كلمة 161.

(4) سورة آل عمران، الآية 159.

(5) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج 8، ص 428.

فـإنّ القائد ينبغي أن يتداول مع أصحابـه حول ما يستجد على الساحة من أحـداث، ولكن تبقى وظيفته الأساس اختيار الـرأي الأنسب فإذا عزم فلا بدّ أن تكون الكلمة الأخيرة له. وعلى الجميع أن يطيعوه.

العنصر الثالث: العزم والقوّة وعدم التردّد بعد مرحلة التروّي، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**روّ تحزم، فإذا استوضحت فاعزم**»[1].

وعنه عليه السلام: «**اعلم أنّ من الحزم العزم**»[2].

فـلا بدّ من الحـزم والعزم وهما متلازمان، فـإذا ضعف الحزم ضعف العزم، وإذا اشتدّ الحزم تضاعف معه العزم.

وهذه الحقيقة يؤكّدها عليه السلام بقوله: «**من قلّ حزمه ضعف عزمه**».

فـلا يصحّ التردّد فـي التنفيذ بعد اتضـاح الرؤية، بل يتـوكّل على الله وحده ويقدم على العمل.

3. الحصانة بالتقوى أولاً

بالتقوى يُحصّن الإنسان نفسه من خطر الأهواء النفسية، ومن الخيانة والغش.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه**»[3].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**التقوى حصن المؤمن**»[4].

وعنـه عليه السلام: «**الجـأوا إلـى التقوى فإنّهـا جنّة منيعة من لجـأ إليها حضنته، ومن اعتصم بها عصمته**»[5].

وعنه عليه السلام: «**اعلموا عباد الله أنّ التقوى دار حصـن عزيز، والفجور**

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 71، ص 341.

(2) م. ن، ج 77، ص 165.

(3) الآمدي، غرر الحكم، 1558 – 1046 – 1128.

(4) م. ن.

(5) م. ن، 2553.

دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه»[1].

ففي التقوى إذن تحصين للمؤمن في مواقع المسؤولية من الانزلاق والسقوط ولا نعرف حصناً – بعد التوحيد – يحفظ الإنسان من مزالق الشيطان أمنع من التقوى.

ووجود التقوى في النفس يخرج الإنسان من الأزمات حينما يصل في تفكيره الإنساني المحدود إلى طريق مسدود. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[2].

إنّها سنّة إلهية إلى خروج الإنسان من مضائق الحياة ومن ضنك العيش، وللتقوى معطيات يعدّدها أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته المعروفة حيث يقول: «**فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد أنصابها**»[3].

وما أحوج القيادات إلى هذا البريق اللامع الذي يكشف لهم الظلمات، وينير لهم الطريق.

4. الحسم والقطع بعد الحزم

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**روّ تَحزِمْ، فإذا استوضحت فاجزم**»[4].

ومعنى ذلك أنّ الإنسان، في موقع القيادة والمسؤولية، يجب أن يحزم كثيراً، والحزم بمعنى التروّي (التأمّل والاستيضاح والتثبيت)، فإذا تمّ له الحزم والتروّي كما ينبغي، فعليه أن يحزم ويحسم الأمر، ولا يتردّد فإنّ

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الخطبة 157.
(2) سورة الطلاق، الآيتان 2 – 3.
(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، خ 198، ص 8.
(4) م. ن، ج 71، ص 341.

التردّد بعد الحزم والتروّي من الضعف.

ويلخّص أمير المؤمنين عليه السلام نجاح القادة وانتصارهم في موقع المسؤولية بكلمتين:

«**الظفر في الحزم والجزم**»[1]. بمعنى أنّ الظفر يتألّف من هاتين الكلمتين: الحزم والتروّي والدراسة المتأنية أوّلاً في مرحلة اتخاذ القرار ثم الحسم والعزم والجزم والإقدام ثانياً في مرحلة تنفيذ القرار.

ويعيد الإمام عليه السلام ضعف القادة في الحسم والجزم والإقدام إلى ضعفهم في مرحلة التروّي والحزم، فيقول عليه السلام، كما في غرر الحكم: «**من الحزم صحّة العزم. من الحزم قوّة العزم**»[2].

ومن يضعف في التروي والتثبيت والحزم يضعف في الحسم والعزم والجزم لا محالة. «**من قلّ حزمه ضعف عزمه**»[3].

والحزم كما قلنا، التروّي، والاستشارة، والتثبيت، وعدم التعجُّل.

وقد سأل الإمام الحسن عليه السلام أباه عليه السلام: «**ما الحزم**»؟ قال: «**أن تنتظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك**»[4].

فالحزم التثبّت والتروّي وعدم التعجّل لحين العمل.

فإذا حان وقت العمل فلا بدّ من الإقدام وعدم التردّد مهما أمكن.

ومن عوامل (الحزم): الاستشارة والاستفادة من خبرات الآخرين وعقولهم.

قيل لرسول الله: ما الحزم؟ قال: «**مشاورة ذوي الرأي واتّباعهم**»[5].

---

(1) الإحسائي، عوالي اللئالي، ج 1، ص 2952.

(2) الآمدي، غرر الحكم، 9399 و 9263.

(3) الآمدي، غرر الحكم، 7981.

(4) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، 401.

(5) البرقي، المحاسن، ج 2، ص 453.

فإذا استنفذ الإنسان الحزم والتروّي والتثبّت بالقدر اللازم، ثم ضعف عن الحسم والتنفيذ فإنّ ذلك من الجبن وليس من الحزم. عن الإمام العسكري عليه السلام «**إنّ للحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو جبن**»[1].

5. الاتزان والوقار وضبط الأعصاب في الأزمات

وهي حالة الاستقرار والثبات النفسي إزاء عوامل الإثارة الخارجية القوية التي تواجه الإنسان.

وقد ورد في خطبة المتّقين لأمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتّقين: «**في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور**».

والوقار في الزلازل، هو أن لا يهتزّ المؤمن بين يدي الحوادث التي تزلزل نفوس الناس، ويحافظ على ثباته واستقرار سلوكه النفسي ووقاره، مهما كانت هذه الزلازل.

وفي المكاره صبور، فلا يجزع ولا يغلبه الحزن.

وفي الرخاء شكور، لا يصيبه البطر والرثاء.

وليس معنى ذلك بلادة الحسّ تجاه الأحداث التي تحلُّ بالإنسان، فلا يتأثّر بها، وإنّما معناه الاستسلام الباطني الكامل لله تعالى، في كلّ ما ينزل عليه من جانب الله.

إنّه حالة الاطمئنان الكامل إلى قضاء الله وقدره، وأنّه تعالى لا يريد به في كلّ ما ينزل عليه من قضاء وقدر إلّا خيراً، وقد ورد في الدعاء: «**واجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك**» فلا يجزع، ولا يخاف، ولا يحزن، ولا يقلق حيث يجزع الناس ويخافون ويحزنون ويقلقون، وهو أمر آخر غير بلادة الحسّ، كما ذكرنا، بل يتمتّع أصحابها برهافة الحسّ،

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 78، ص 377.

بشكل كامل، ولكن سلوكهم النفسي يبقى مستقرّاً ثابتاً، لا تطرأ الانفعالات الحادّة عليه، كما تُصيب الناس.

ولا يتملّكه الموقع والمنصب، ولا يوحشه لو جرّد من كل ما أوتي من المواقع والمناصب والأموال. لا يغتر بتحشد الناس حوله ولا يوحشه انفراط الناس من حوله.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«**لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة ولا تفرّقهم عنّي وحشة**»[1].

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي (رضي الله عنه):

«**واعلم بأنّه لا تكون لنا ولياً حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا أنّك رجل سوء لم يحزنك ذلك، أو قالوا أنّك رجل صالح لم يسرّك ذلك**»[2].

6. ترك الإنسان ما لا يعنيه

الإدارة اختصاص، واعتناء، ومعنى الاختصاص أن يتفرّغ لما يختصّ به من الأمور فلا يتدخّل المسؤول الصحي في الشؤون العلمية والجامعية ولا يتدخّل مدير الجامعة في شؤون المحروقات... لكلٍّ اختصاصه في دائرة عمله، وتتوزّع الأمور على المسؤولين حسب اختصاصهم.

ومعنى الاعتناء أن يهتمّ المسؤولون بما يعنيهم، وما ينبغي أن يدخل في دائرة اهتماماتهم، فإذا تجاوز المسؤولون دائرة اعتناءاتهم وانشغلوا بما لا يعنيهم، ولا ينفعهم في دنيا ولا آخرة، تحوّلت حياتهم من إنتاج إلى

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الكتاب 36.

(2) ابن شعبة، تحف العقول، 292.

استهلاك... إنّ الجهد الإداري في دائرة الاختصاص والاعتناء إنتاج، والجهد الذي يبذل خارج هذه الدائرة استهلاك، وعلى المسؤولين أن يحترزوا حالة الاستهلاك في جهودهم.

عن أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني رحمه الله: «**واقصر رأيك على ما يعنيك**»[1]، فإذا قصر المسؤول رأيه وعمله فيما يعنيه ويهمّه (موضع الاهتمام والاعتناء في عمله)، واحترز عمّا لا يعنيه، كان رأيه وعمله منتجاً، وفي غير هذه الحالة يكون رأيه وعمله من استهلاك الرأي والجهد.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه**»[2].

إنّ الدخول فيما لا يعني الإنسان محرقة للعمر والجهد... والإسلام يُحمّل الإنسان مسؤولية كل أيّام عمره، وكلّ جهده وشبابه، فليس له جهد فائض ولا عمر فائض يضعه في غير موضع الحاجة والضرورة.

عن أبي ذرّ رحمه الله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا أُعلّمك بعمل خفيف على البدن، ثقيل في الميزان؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: هو الصمت، وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك**».

7. التنظيم والتخطيط

من وصية أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام:

«**أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أموركم**».

التقوى والنظم عاملان أساسان في سلامة المجتمع.

التقوى تحصّن المجتمع من الداخل، وتحفظ حدود الله سبحانه

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، عهد الإمام عليه السلام إلى مالك الأشتر.
(2) الفيض الكاشاني، المحجّة البيضاء، ج 5، ص 20.

وتعالى بين الناس، والنظم يحفظ الأولويات في العمل، ويحفظ الجهد من الإهدار، ويؤمن الحاجات الأساس في المجتمع، ويحقّق الإنتاج الكثير بأقل الجهد والزمن، ويطوّر حركة المجتمع.

والنظـم مسألـة ضرورية لـكلّ جوانب حيـاة الإنسان، حتـى في حياته الشخصية، ولا تختصّ بالجانب الإداري من المجتمع... وعلى المسلم أن يُنظّـم حياته ووقته بيـن العمل والعبادة والراحة والنـوم والاهتمام بشؤون البيت والعائلة حتى تنتظم حياته الشخصية.

والتخطيط نحو من التنظيـم للمشاريع الكبيرة قبل البدء بها وعناصر التخطيـط تُحـدِّد الغايات والأهـداف وتضع البرامج العمليـة للوصول إلى الغايات والأهداف، ضمن مراحل من العمل.

والتخطيـط الواقعي الدقيق يأخذ بنظـر الاعتبار دور الزمان في إنجاز المشـروع والإمكانـات اللازمـة له والعقبـات التي تعيق العمـل، والطريقة الصحيحة لمواجهة العقبات...

وهذا هو معنى التدبير والعلم والحيلة على لسان النصوص الشرعية.

عـن رسـول الله ﷺ: «**يـا ابـن مسـعود إذا عملت عمـلاً، فاعمـل بعلم وعقـل، وإيّـاك أن تعمل بغير تدبيـر، وعلم، فإنّه جلّ جلاله يقول:** ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾»[1] [2].

قالـوا: إن امـرأة حمقاء في مكة كانت تغزل الصـوف ثم تنقض غزلها من بعد قوة أنكاثاً.

وكذلـك العمـل إذا لم يكن عن تدبير وتخطيط يكـون هذا شأنه، نقض بعد غزل، وهدم بعد بناء.

(1) سورة النحل، الآية92.

(2) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 74، ص 110.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إمارات الدول إنشاء الحيل**»[1].

إن التدبير الصحيح والحيل الصحيحة تحفظ الدول وتبقيها.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «**التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم**»[2]. وإنّما يندم الإنسان على جهده وعمله، حيث لا يسبق جهده وعمله التدبير والتخطيط الصحيح.

فإذا أعطى الإنسان المشروع اهتماماً في التخطيط والتدبير قبل العمل، بشكل موضوعي وعلمي، وفكّر في كل جوانب العمل لم تواجهه العقبات، إنّما يُفاجئ الإنسان بالعقبات إذا لم يُخطّط من قبل لمواجهتها، ولم يأخذها بنظر الاعتبار.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**من قعد عن حيلته أقامته الشدائد**»[3].

ولربما يُغني التخطيط الصحيح عن الإمكانات والآليات الكثيرة، وفي ذلك يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**التلطُّف في الحيلة أجدى من الوسيلة**»[4].

وليس من عمل ولا مشروع إلّا وقد جعل الله السبيل إليه التخطيط والتدبير السليم والحيلة المناسبة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**لكلّ شيء حيلة**»[5].

8. سعة الصدر

وهو من أهمّ الآليات الإدارية والقيادية. عن أمير المؤمنين عليه السلام،

(1) الريشهري، ميزان الحكمة، ج 2، ص 551.
(2) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 338.
(3) الآمدي، غرر الحكم، ج 2، ص 206.
(4) م.ن، ج 1، ص 107.
(5) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 8، ص 44.

قال: «**آلة الرئاسة سعة الصدر**»[1].

وسعة الصدر تعني الصبر تجاه المشاكل والتحدّيات، والسيطرة على النفس في حالات الانفعال والغضب، وفي حالات الفرح والتوفيق، والحلم، وهي حالة استيعاب للمشاكل والمتاعب والتحديات التي تواجه العاملين من ناحية الآخرين.

ومثل النفوس مثل الأواني الكبيرة التي لا تفيض ولا تضيق ولا تتلوث بما فيها، بعكس الأواني الضيّقة، فإنّها تفيض وتضيق وتنفعل بما فيها، فإذا ألقي فيها ماء آسن، وقذر ظهر عليها... ويلقى نفس القذر، والماء الآسن في البحر والنهر، لا يبقى منه أثر بعد لحظات، ويستهلكه ماء البحر... وكذلك شأن الصدور الواسعة تستهلك حالات الغضب والانتقام والانفعال، رغم وجود الإثارة القوية والشديدة.

وكما تقاوم الصدور الواسعة عوامل الغضب والانتقام والانفعال، وتواجهها بالصبر والحلم، والتعقُّل، فلا يطفح عليها، ولا تتأثّر بها، كذلك تقاوم عوامل الانفعال من النوع الآخر، وهي الانفعال تجاه التوفيق والنجاح والفوز، فلا يغلبهم الفرح والحبور، وما يجر إليه من البطر والرئاء عادة، فإنّ وعاء النفوس والصدور إذا اتسعت لا تضيق بهذا ولا ذاك، وتستوفي كلّاً منهما، وهاتان الخصلتان وجهان لحالة واحدة، وهي حالة شرح الصدر.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً**»[2].

قد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة فاتحاً، ويكاد رأسه يمس قربوس فرسه، تواضعاً لله سبحانه وتعالى، لم ينفعل، ولم ينتقم، ولم يظهر عليه من

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، حكمة 176.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الكتاب 33.

أمارات الفتح العظيمة، غير الشكر لله، والتواضع لله، والاعتراف لله تعالى بالجميل فيما أعطاه.

وهذه الخصلة في نفوس المؤمنين هي التي يسميها القرآن بـ (شرح الصدر).

ويَمُنّ الله تعالى به على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في المراحل الأولى من الأمر بتبليغ الرسالة، فيقول تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1]، والوزر: ثقل المسؤولية الذي ينقض ظهور المسؤولين...

ويَمُنّ الله تعالى على عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآيات بأمرين: شرح الصدر، وتخفيف ثقل العادة والعذاب والمسؤولية عنه، وهو ما تعبّر عنه الآية الكريمة بـ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾، وبينهما فرق.

وشرح الصدر هو أن يوسع الله تعالى وعاء صدور عباده لتستوعب المشاكل والتحديات بالصبر والحلم. والأمر الآخر تيسير الأمر، ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[2]: هو تخفيف ثقل العمل على المؤمنين العاملين.

وفي مقابل (سعة الصدر): ضيق الصدر، وهي حالة من الضيق، وعدم الاستيعاب تنتاب الإنسان في السراء والضراء معاً، تجعله عرضة للانفعالات المختلفة كالبطر والرئاء، والتعجُّل، والانتقام، والتعب، واليأس، وضيق النفس والغضب... وهذه الحالات تسلب المسؤولين القدرة على إدارة الموقف، وهي حالة ضارّة في إدارة الأعمال الكبيرة منها والصغيرة، حتى داخل العوائل، وفي الأسواق، وفي العلاقات الاجتماعية المحدودة. وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّما الحليم من إذا**

(1) سورة الشرح، الآيات 1 – 3.

(2) سورة طه، الآية 26.

أُوذي صبر، وإذا ظُلم غفر»[1].

وأبلـغ ما ورد عـن أمير المؤمنين عليه السلام في هـذا المعنى هو ما أشرنا إليه سابقاً: «**ولا تكن عند النعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً**»[2].

وهذه الكلمة تُحدّد حالة سعة الصدر، والقدرة على الاحتواء والاستيعاب مـن بعديـن: في البأسـاء والضراء، فلا يسـرع إليه الفشـل والعي والعجز والضعف في البأساء، ولا يسرع إليه البطر والسرور والحبور في النعماء.

9. عدم إضاعة الفرص

عن أميـر المؤمنيـن عليه السلام: «**الفرصـة تمـرّ مـرّ السـحاب فانتهزوا فرص الخير**»[3].

فـإذا سنحـت للإنسـان الفرصة فعليه المبـادرة قبل أن تفـوت، وهذه الفرصـة قـد تكون فـي إقبال القلوب علـى الله تعالى في العبـادة والدعاء والصـلاة، وليس دائماً تُقبِل القلوب على الله، فإذا وجد الإنسان في نفسه إقبـالاً على الدعاء والصلاة والذكـر والاستغفار، فعليه أن يُبادر إلى ذلك، قبل أن تفوته حالة الإقبال، وتغلبه حالة الانقباض.

كذلك في المشاريع الثقافية والسياسية والاقتصادية والتبليغية قد تمرّ على المؤمنين فرصـة من فرص العمل لا تدوم ولا تتكرّر، فعليهم المبادرة بانتهاز الفرصة قبل أن تمرّ الفرصة.

لقـد عاش الإمام الباقـر عليه السلام فترة ضعف بني أميـة، وعاش الإمام الصادق عليه السلام فترة انتقال السلطة من بني أمية إلى بني العباس، فانتهزا هذه الفرصة أفضل الانتهاز ونشرا ثقافة أهل البيت عليهم السلام ومعارفهم نشراً

(1) الآمدي، غرر الحكم، ج 1، ص 268.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، كتاب 33.

(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الحكمة 31.

واسعاً، وانتشرت منـذ ذلك الحين معارف أهل البيت عليهم السلام في الأوساط العلمية الإسلامية انتشاراً واسعاً.

وللإمـام علي عليه السلام كلمة في هذا الأمر ينبغي أن نتوقّف عندها بعض الشيء: «**من الخُرق المعاجلة قبل الإمكان، والأناة بعد الفرصة**»[1].

مـن السفه والخطأ أن يستعجل الإنسـان الأمور قبل أوانها، ومن السفه والخطـأ أن يتوانـى الإنسـان عـن المبـادرة بعـد حصول الفرصـة. ذلك الاستعجال وهذه الأناة كلّاً منهما خُرق وخطأ.

10. صفة الأناة

هـي حالـة غير (الحزم) إلّا أنّهـا تلتقي بالحزم، وحقيقـة الأناة: عدم التعجّل.

ومـا يُصيب الناس من التعجّل والاستعجـال يكون في أمرين: في البدء بالعمل قبل أوانه، والبدء بالعمل قبل أوانه يفسد العمل، كمن يزرع في غير الموسـم، ولـكلّ مشروع ولكلّ عمـل ظرفه الخاص، فـإذا دخل صاحبه في المشروع في غير ظرفه أفسد على نفسه المشروع وأحبط عمله.

وأكثـر ما يُصيب الإنسان الإحبـاط في الأعمال السياسية والثورية وفي حركـة المعارضة السياسية وفـي المشاريع الحركية لهـذا السبب... فقد ينجـح قائد في تحريك الشارع وإثارة الناس للاعتراض والثورة على نظام فاسـد، ويتحـرّك معه الشـارع، ويُحقّق ما يريـد... وقد يتحـرّك آخر فلا يستطيـع أن يصنـع شيئاً، ولا يُحـرّك ساكناً في الشـارع... والفرق الزمن والظرف... ولـو تأنّى الثاني ودرس الظـروف الموضوعية للثورة لم يواجه الإحباط، فإنّ للثورة ضدّ أيّ نظام فاسد ظرفها الخاص، فإذا بدأ بها قبل

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الحكمة 363.

ظرفها لم تنجح الثورة.

ولكن ليس معنى ذلك الخلود إلى الراحة، والاستكانة للنظام الفاسد، وإنّما معنى ذلك ترحيل الاعتراض والثورة والحركة ضمن مراحل من العمل والإعداد والتحضير لها.

وهذه هي الأناة الأولى في العمل، انتظار الظرف الزمني المناسب، وترحيل العمل ضمن مراحل، وليس الركون والسكون والسكوت.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام - كما في الرواية -: «**إيّاك والعجلة قبل أوانها**»... ومعنى الكلمة: انتظار الوقت والظرف المناسب للعمل وعدم التعجيل في العمل، وترحيل العمل والتخطيط له ضمن مراحل.

والأناة الثانية: الأناة في جني الثمار... وكما يضرّ التعجّل الأوّل، يضرّ التعجّل الثاني... فمن يريد أن يقتطف الثمرة قبل أوانها يقتطفها فجّة، وعندئذ يُصيبه الإحباط، ولو أنّه تأنّى في اقتطاف الثمرة إلى أوان نضجها لم يلحقه هذا الإحباط.

وعن هذه الأناة يقول أمير المؤمنين عليه السلام - كما في الرواية -: «**من تأنّى أصاب ما يتمنّى**»[1].

إنّ الذي يتأنّى في إنجاز النتائج لوقتها يُحقّقها بأفضل الأشكال. ومهما يكن من أمر فإنّ للزمن وظروف العمل دوراً في البدء بالعمل وترحليه واستنجاز النتائج المطلوبة منه، ومن يتجاوز (الزمن) يواجه حالات الإحباط كثيراً... وسوف يأتي الحديث عن هذه النقطة تحت عنوان آخر.

11 . البشاشة والبشر

عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته للأشتر (رضوان الله عليه):

(1) الكلمتان اللتان رويناهما عن أمير المؤمنين عليه السلام لا تأبيان التفسير بكلٍّ من الأناتين.

«واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك».

وفي وصيّته لعبد الله بن عباس، وكان عامله على البصرة:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك».

إنّ على المسؤولين والحكام أن لا يحجبوا الناس عن أنفسهم، بالبشر والبشاشة وانبساط الوجه، ولا يقابلون الناس بوجوه منقبضة.

والإمام يوصي الأشتر رحمه الله في وصيته: أن يخفض للرعية جناحه، فلا يستعلي عليهم، ويبسط لهم وجهه، فلا يُقابلهم بالانقباض.

وفي وصيّته لعبد الله بن عباس يوصيه أن يسع الناس في ثلاث: في مجلسه، ووجهه، وحكمه، فلا يضيق مجلسه بالعامة من الناس (الجمهور) ولا ينتقي لمجلسه النخبة، وإنّما يفتح مجلسه لعامّة الناس في مواعيد منتظمة، وهذه هي التوسعة الأولى.

والتوسعة الثانية: أن يسعهم بوجهه، والتوسعة بالوجه من أفضل أنواع التوسعة، فلا يقبض وجهه في لقائهم، ولا يُشعر الناس بالتضايق منهم، والوجوه تنطق للناس بالتوسعة والتضييق.

وإذا وجد المسؤول من أسباب الانقباض شيئاً في نفسه فعليه أن يحفظ الانقباض والحزن لنفسه، ويتعلّم أن يُظهِر للناس البشر والبشاشة، ويحتفظ لنفسه بالحزن والهموم.

يقول الإمام علي عليه السلام في خطبة المتّقين المعروفة في وصف المتّقين: حزنه في قلبه وبشره على وجهه».

وفي كلمة أخرى مروية عنه عليه السلام في هذا السياق: «**إنّ بشر المؤمن في وجهه، وقوّته في دينه، وحزنه في قلبه**»[1].

(1) الآمدي، غرر الحكم، 3061.

والتوسعة الثالثة في الحكم، فلا يضيق حكمه عن عامة الناس وجمهورهم، وإنّما يعمّ عدله وحكمه الجميع، ويؤثر رضا العامة على رضا الخاصة في الحق... وهذا هو كلام الإمام عليه السلام: «**سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك**».

12. الرأي بين التسرُّع والعجب

الرأي من ضرورات الإدارة، والمدير الذي لا يملك الرأي في دائرة مسؤوليته لا يستطيع أن يُمارس الدور الذي يقع على عهدته.

ولكن الرأي يتعرّض لآفتين كبيرتين، يجب أن يبرأ عنهما المسؤول ويتخلّص منهما:

الآفة الأولى: العجب، فإنّ العجب يُفسد على الإنسان رأيه، ويُفقده الرشد والصواب... ولعلّ من أسباب العجب بطانته الذين يُقرّبون له ذلك ويحسّنون له مواقع رأيه، ولا يجرحونه بالنقد.

وهذه الحالة تُفسد على المسؤولين رأيهم، وتوقعهم في تخبُّط كبير. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**رضاك عن نفسك من فساد عقلك**»[1].

وعنه عليه السلام أيضاً: «**من أُعجب بحسن حالته قصّر عن حسن حيلته**»[2]. إنّ العجب يُفسد على الإنسان الرأي والحيلة. وأكثر عوامل العجب لدى المسؤولين، البطانة المغالية والمتملّقة.

وكما يجب على المسؤول أن يتوقّى العجب برأيه، يجب عليه أن يستمع إلى الرأي الآخر، ويحترمه، فلربما شخص تزدريه العيون، يُقدّم إليه رأياً جديراً بالاهتمام والتأمّل.

(1) الآمدي، غرر الحكم، ج 1، ص 382.

(2) م. ن، ج 2، ص 209.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يصغرنّ عندك الرأي الخطير إذا أتاك به الرجل الحقير**»[1].

والآفة الأخرى للرأي: التعجّل والتسرُّع في الرأي، وفي مقابل التعجّل والتسرُّع، الحزم، وهو التروّي والتأمّل قبل اتخاذ الرأي والقرار.

وبقدر ما يُفسد التعجُّل والتسرُّع الرأي على صاحبه فإنّ عدم الحزم يؤدّي إلى تعطيل القرار، وهو من الضعف والعجز... وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[2].

والعزم لا يكون إلّا بالحزم، فإذا تمّ للإنسان كان عليه أن يتوكّل على الله ويمضي في عمله. ولا يسمح لنفسه التردّد في القرار بعد أن اكتملت لديه أسبابه.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا هبت أمراً فقع فيه، فإنّ توقّيه أعظم ممّا تخاف منه**»[3].

13. دور الزمان في الإدارة الصالحة

الإدارة الصالحة تأخذ الزمان بنظر الاعتبار... والزمان ليس وعاءً للتاريخ والأحداث والأعمال فقط، وإنّما هو من مقوّمات التاريخ والأعمال والأحداث أيضاً... فلربّ مشروع يفشل في زمان فشلاً ذريعاً، ونفس المشروع بنفس المواصفات ينجح في زمان آخر، والفارق الزمان.

ولذلك نعتقد أنّ تشخيص الزمان من العناصر والشروط المقوّمة للإدارة الصالحة.

---

(1) الآمدي، غرر الحكم، ج 2، ص 326.

(2) سورة آل عمران، الآية 159.

(3) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 68، ص 362.

والزمـان ثلاثة: الماضي، والحاضـر، والمستقبل... ولكلٍّ منها دور في الإدارة الصالحة.

إنّ الماضـي لا يجوز إلغاؤه، بأيّ نحو في أيّ مشروع ثقافي، أو سياسي، أو حركي، أو تجاري، أو عمراني، أو جهادي وغير ذلك.

فقـد يحمل الماضي من عوامـل الإخفاق ما يؤدّي إلـى إحباط المشروع فـي الحال الحاضر، في نفوس الناس... وقد يحمل الماضي من الأخطاء ما يجب على الإدارة الصالحة تصحيحها قبل البدء بالعمل في الحال الحاضر.

إنّ الحـوادث المختلفـة المسـرّة والمؤسفـة والأخطـاء والإخفاقـات، والنجاحات التي تمّت في الماضي تلقي بظلالها على الحاضر لا محالة.

وعليـه، يجـب أن نأخذ الماضي والتاريخ بنظـر الاعتبار في أيّ مشروع حاضر أو مستقبل.

أمّا معرفـة الحاضر (الحال) فله دور أساس في نجاح العمل وفشله... والقيادة الصالحة الناجحة هي التي تضع المشاريع في الظرف المناسب، والوعـاء الزمني المكافـئ للعلم... فلربّ مشروع يخفـق في زمان، وينجح فـي زمان بنفس المقوّمات، وليس الفارق المشروع فهو واحد، وإنّما الفارق الزمـان... فإنّ الزمان قد يكون مـن عوامل الإخفاق، وقد يكون من عوامل الإنجاح... والمدير الناجح هو الذي يُشخِّص الظرف الصالح لأداء العمل.

وقـد ورد في الروايـة عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**العالـم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس**»[1].

والمعرفـة الدقيقـة للزمان وتشخيص الظرف الصالـح للعمل نحوٌ من البصيرة الإدارية، والبصر بالأحداث.

(1) ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، 356.

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه**»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**حسب المرء من عرفانه علمه بزمانه**»[2].

وأمّا المستقبل، فهو امتداد للحاضر... وإذا كان وعاء الحاضر صالحاً لإدارة المشروع، فقد يحمل وعاء المستقبل من عوامل الإخفاق ما يغيب عن صاحبه... وقد يُقبل الناس على مشروع ثقافي أو سياسي أو إنساني، أو اقتصادي، ثم يُصيب الناس في المستقبل إرهاق وتعب، ويؤدّي ذلك إلى إحباط المشروع، وعامل الإحباط يكمن في المستقبل، وليس في الحاضر ولا في الماضي، والإدارة الناجحة يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق في المستقبل من الآن.

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «**من عرف الأيّام لم يغفل عن الاستعداد**»[3].

إنّ الاستعداد لعوامل الإحباط والإخفاق التي يتضمّنها المستقبل يجب أن يكون من الآن. وللزمان دور واضح في تغيير المناهج والأساليب.

صحيح أن الشريعة مجموعة من الثوابت التي لا تتبدّل ولا تتغيّر في الظروف الزمانية المختلفة... ولكن ذلك في ثوابت الشريعة وحدود الله، وفرائض الدين، أمّا الأساليب والوسائل والمناهج التي لا تدخل في ضمن الثوابت والحدود الشرعية، فهي قابلة للاختلاف والتغيير، تبعاً للظروف والزمان.

وهذه نقطة دقيقة، ومن الخطأ أن نسحب نظام التغيير والاختلاف

(1) الشيخ الصدوق، الخصال، 525.

(2) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 78، ص 80.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج 8، ص 23.

علـى ثوابت الشريعة، ومن غيـر الصحيح أن نثبت في جملـة من الوسائل والمناهج، كالمناهج والوسائل التربوية مثلاً، على نهج ثابت.

وقد روي في هذا المعنى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنّهم مخلوقون لزمان غير زمانكم**».

إنّ للزمـان دوراً لا محالـة، فـي اختـلاف أساليـب التربيـة والتعليـم، ومناهجهما.

إنّ عناصـر التربيـة والتعليم تبقى هي هي فـي كلّ العصور من الثوابت التـي لا تتغيـر، ولكـن الأساليب تختلـف... ومن الخطـأ أن نقسـر أبناءنا وبناتنا، على نفس الأساليب التي كان يتعامل بها معنا آباؤنا وأمهاتنا.

عن أميـر المؤمنين علي عليه السلام: «**من أمن الزمـان خانه، ومن تعظّم عليه أهانه، ومن ترغّم عليه أرغمه، ومن لجأ إليه أسلمه، وليس كلّ من رمى أصاب، وإذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان**»[1].

وحـريٌّ بنا أن نُطيل الوقوف عند هذه الكلمة العلوية القيمة، التي تحمل معاني ومعارف جمّة، لولا أن الوقت والفرصة لا تسعنا.

فـي هـذه الكلمة نتوقّـف عند مجموعة مـن النقاط يشيـر إليها الإمام علي عليه السلام:

«**مـن أمـن الزمـان خانه**»: يُخطـأ الإنسان خطـأً فادحـاً إذا تصوّر أنّ الزمان هو الزمان، لا فرق، فيُقْدِمُ على عمل، نجح فيه غيره، فيقتحمه من غير احتساب عامل الزمان، فيخونه الزمان، ويفشل.

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: «**من وثق بالزمان صُرِع**»[2].

كمـن يجد غيـره يمشي على ماء ضحل ويعبره، فإذا وجـد ماءً تصوّر أنّ

(1) العلّامة المجلسي، بحار الأنوار، ج 77، ص 213.

(2) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج 2، ص 54 – 204.

الماء هو الماء فيقتحمه فيخونه الماء، فيقع في وحل وغرق... كذلك الزمان.

إنّ الزمـان يختلف عن الزمان، والزمان ذو غِيَر، ومن أمن غِيَر الزمان خانـه، فيسقط ويفشل، ولا بدّ قبل أيّ عمل مـن دراسة حال الزمان، الذي يُقدّم فيه الإنسان على العمل.

ثم يقول عليه السلام: «**ومن تعظّم عليه أهانه**»، وليس لأحد أن يحتقر الزمان، ويتعظّم عليه، ويجازف، ويقدم، من غير احتساب دور الزمان في العمل، والذي يجازف، ويقدم، مستهيناً بالزمان يهينه الزمان، ويحتقره، ويتجاوزه... يقول الإمام علي عليه السلام في هذا المعنى: «**من كابر الزمان عطب**»[1].

ثم يقـول عليه السلام: «**ومن ترغّم عليه أرغمه**». وكما ليس للإنسان أن يتعظّـم على الزمان ويحتقره، ويتجاوزه، كذلـك ليس له أن يرغم الزمان، علـى مـا لا يستجيب له... فإن الزمـان يحكم الإنسـان، ولا يحكم الإنسان الزمـان، ومن حاول أن ينفلت من قبضة الزمان، بإرغام الزمان على ما لا يستجيب له، أرغمه الزمان...

إن حتمية الزمان من الحتميات القاهرة في التاريخ.

يقـول أمير المؤمنين علـي عليه السلام في هذا المعنى: «**مـن عاند الزمان أرغمه**»[2].

نعـم، من الممكن أن يعالج الإنسان الزمـان، فيجعل من الزمان الشؤم زماناً مبـاركاً، ومن الزمان الصعب زماناً سهـلاً، ومن عصر الدكتاتورية والاستبداد السياسي، عصراً للثورة على الظالمين، ولكن هذا علاج وتوجيه وتعديـل للزمان، وليس إرغاماً ولا احتقاراً للزمان... والعلاج والتعديل غير المكابرة.

(1) ابن شعبة، تحف العقول، ص 85.

(2) الآمدي، غرر الحكم، 9054.

ولكلّ من مكابرة الزمان والتحكّم عليه وعلاجه، أحكام وظروف خاصة ليس موضعه الآن.

ثم يقول عليه السلام – كما في الرواية –: «**من لجأ إليه أسلمه**».

ليس معنى ما تقدّم من النهي عن ائتمان الزمان ومكابرته ومراغمته، أن يلقي الإنسان نفسه في أحضان الزمان ويستسلم له، ويأخذ بمقتضيات الزمان، مهما كان، خيراً أو شراً، ضعفاً أو قوّة، فإنّ هذا السلوك المتلوّن مع الزمان هو الحالة الانتهازية التي ينهى عنها الإسلام. إنّ علينا أن نفهم الزمان ونعالجه ولا نأتمنه ولا نكابره ولا نراغمه، وعلينا أيضاً أن نحذر من ركوب الزمان، وأن نتطبّع بمتطلّبات الزمان، فإنّ من توحي إليه نفسه أن يركب موجة الزمان، ويعمل بمقتضاه، مدحاً أو ذماً، إيماناً أو كفراً، هزيمة أو مقاومة، حبّاً أو بغضاً، طاعة أو تمرّداً... أقول: إنّ من يستسلم لحكم الزمان، ويركب الموجة، يسلمه الزمان إلى الموجة، ويتحوّل الإنسان عندئذ من عامل مؤثّر في التاريخ إلى خشبة عائمة على موجه الزمان... وفي هذا المعنى يقول الإمام علي عليه السلام: «**من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسلم**»[1].

وبين معاندة الزمان ومراغمته، وبين الاستسلام المذلّ للزمان، يجب أن يقف المؤمن موقفاً وسطاً في التاريخ والمجتمع، وهو موقف دقيق، لا يسعنا الوقت لشرحه أكثر من هذا الحدّ.

ثم يقول عليه السلام: «**وليس كلّ من رمى أصاب**».

فقد يرمي أحد ويُصيب، وقد يرمي آخر فيُخطئ، وليس الفرق في الرمي والاستهداف، وإنّما الفرق في الزمان. فقد يرمي أحد في زمان،

(1) الآمدي، غرر الحكم، 9054.

فتصيب الرمية، ويرمي آخر في زمان آخر، فلا تصيب الرمية.

إنّ إهمال عامل الزمان من أكبر أخطاء الناس ومن لا تُصيب رميته، لا يُعاتب الزمان، ولا يُعاتب حظّه، فليس القضية في الحظّ ولا في الزمان، وإنّما عليه أن يراجع حساباته في تشخيص الزمان، حتى يعرف متى يرمي ومتى يكفّ عن الرمي؟ ومتى يتحرّك ومتى يكفّ عن الحركة؟ ومتى يقوم ومتى يقعد؟ ومتى يهتف ومتى يهمس؟ ومتى يقاتل ومتى يسالم؟... ومتى ومتى؟؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة جميعاً تندرج في تشخيص الزمان ومعرفته. فإذا رمى، في غير وقت الرمي، فلم تُصب رميته فلا يُعاتب الزمان، وإنّما يُعاتب نفسه، لأنّه لم يعرف الزمان، فإنّ الزمان لا يتقبّل عتاب من يعتابه.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**الزمان يخون صاحبه، ولا يستعتب لمن عاتبه**»[1]... اعرف زمانك جيداً، ثم اعمل بما تمليه هذه المعرفة من العلاج والتخطيط، حتى لا تحتاج إلى عتاب الزمان، فيرفض الزمان منك العتاب.

ثم يقول عليه السلام: «**وإذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان**».

إنّ بين الزمان والسلطان علاقة جدلية حميمة، يغير الزمان السلطان، ويغير السلطان الزمان، فكم من زمان صالح أفسد السلطان، وكم من سلطان صالح، أضعفه الزمان... وقد كان صاحب هذه الكلمة (صلوات الله عليه) حاكماً صالحاً وإماماً معصوماً، قمة في العدل والعقل والتدبير والحزم والعزم والقيادة الحكيمة، ولكن زمانه جعله في مواجهة ابن أبي سفيان... يقول عليه السلام لمعاوية: «**فيا عجباً للدهر إذ صرت يقرن بي من لم يَسْع بقدمي ولم تكن له سابقتي**».

ولو كان يأتي في زمن غير ذلك الزمان لتغيّر وجه المجتمع الإسلامي

(1) الآمدي، غرر الحكم، 2093.

ووجه التاريخ الإسلامي، ولكان للتاريخ الإسلامي وللحضارة الإسلامية في الماضي والحاضر والمستقبل شأن غير هذا الشأن، ولكنّه عليه السلام تولّى الحكم بعد أن عمل من كان قبله من الحكّام في تأسيس حكومة بني أمية في الشام وتوطيد أركانه، منذ خلافة الخليفة الثاني الذي ولّى معاوية ومن قبله أخوه يزيد بن أبي سفيان على أقليم الشام كلّه، فأحكم بنو أمية أركان ملكهم في الشام، فلمّا تولّى الإمام علي عليه السلام الحكم حكمه الزمان، ولم يتمكّن أن يزيل بني أمية من الحكم، وتغيّر وجه التاريخ الإسلامي منذ ذلك الحين على أيدي بني أمية، ثم جاء بنو العباس بنفس المنهاج في الظلم والإسراف وانتهاك حرمات الله تعالى.

فلم يكن في الإمام علي عليه السلام وابنه الحسن ضعف أو عجز أو قصور، وإنّما حكمهم الزمان الذي يقهر الناس، ولا يقهر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

14. مبدأ توزيع المسؤوليات

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في بعض رسائله إلى عمّاله:

«**واجعل لكلّ إنسان من خدمك عملاً تأخذ به، فإنّه أحرى ألّا يتواكلوا في خدمتك**»[1].

هذه الكلمة تُشير إلى مبدأ توزيع المسؤوليّات بين المسؤولين، وهو مبدأ هام في الإدارة، يمكّن المسؤول من محاسبة كلّ واحد منهم على ما يقع تحت يده من المسؤوليات، ويمنعهم من التواكل.

بخلاف التداخل في المسؤوليات فإنّه يفسح المجال للمسؤولين في التواكل فيما بينهم، واعتماد كلٍّ منهم على غيره، ويُقلّل من فرص المسائلة والمحاسبة من ناحية المسؤول الذي يتولّى أمورهم.

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الكتاب 31.

15. معايير الاختيار الصحيح

اختيار الشخص الصالح للموقع المناسب من أهمّ المسائل الإدارية... فقد يختار المسؤول إنساناً صالحاً كفوءاً لموقع من المواقع، فيكون سبباً لإنجاح ذلك الموقع وذلك العمل، وقد يقع اختياره على عنصر غير صالح لموقع من المواقع، فيؤدّي إلى إفشال الموقع، وإفشال المشروع الذي اختاره له، وأهم العناصر والمعايير التي تدخل في الاختيار الصحيح هي المعرفة والأمانة والكفاءة.

ولقد أشارت ابنة شعيب عليه السلام على أبيها عندما سقى لهنّ موسى عليه السلام أن يستأجره، وقالت في ذلك: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[1]، فوصفت موسى بن عمران عليه السلام بالأمانة والقوّة، وهما عنصران أساسان في الاختيار الصالح[2].

وعندما رشّح يوسف عليه السلام نفسه لأمانة خزائن مصر، ذكر لتوجيه هذا الترشيح كلمتين: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[3]، وهاتان الكلمتان هما: (الحفظ) و(العلم).

و(الحفظ) بمعنى الأمانة، و(العلم) بمعنى المعرفة.

فهذه ثلاث نقاط في معايير الاختيار الأصلح: المعرفة، والأمانة، والقوّة (الكفاءة).

ولأمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) كلمة جامعة في التعريف بالكفاءة والقوّة، ننقلها.

يقول عليه السلام: «**واجعل لرأس كلّ أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره**

(1) سورة القصص، الآية 26 .

(2) لم نتأكّد من أنّ الشخص الصالح الذي استأجر موسى عليه السلام، وزوّجه ابنته هو شعيب عليه السلام، ولكن هذا هو المعروف.

(3) سورة يوسف، الآية 55.

كبيرها ولا يتشتّت عليه كثيرها».

وهـو كلام دقيق فـي التعريف بكفـاءة المسؤول وقوّتـه، لا تغلبه الأمور الصعبـة الكبيرة التي تواجه المسؤوليـن، ويبقى هو الأقوى في أيّ مواجهة ومقابلة للمشاكل والتحديات التي تواجهه.

والخصلة الأخرى في تحديد الكفاءة القوّة في المسؤولين «**ولا يتشتّت عليه كثيرهـا**» كما لا يغلبه كبيرها لا يشتّته كثيرها... إنّ المسؤول الذي تتشتّت عليه الأمـور، لا يتمكّن أن يجمعها ويُهيمـن عليها ويُديرها ويُنظّمها... إنّ الإدارة هي تجميع شتات الأمور وتنظيمها وترتيبها بحسب الأولويات والاستحقاقات.

وهذه الخصال أيضاً من خصال القوّة، كما الخصلة المتقدّمة.

ونقرأ في كتاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليـه)، عندمـا ولّاه مصر، معايير أخرى فـي اختيار الصالح نذكرها بإيجاز.

أ. التجربة والخبرة في العمل الذي يعهد إليه.

يقول عليه السلام: «**وتوخّ منهم أهل التجربة**»[1].

ب. «**الاختيار من البيوتات الصالحة**»[2].

ج. القدم في الإسلام.

ويُعلّل الإمام ذلك بقوله: «**فإنّهم أكرم أخلاقاً وأصحّ أعراضاً، وأقلّ في المطامـع إشـرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظـراً**»[3]... إنّ تاريخ الإنسان جـزء لا يتجزّأ من كيانه، فإذا كان تاريخه مشرقاً نظيفاً معروفاً بالصلاح أمكن الاعتماد عليه والوثوق به.

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الكتاب 53.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الكتاب 53.

(3) م. ن.

د. النصيحة لله ولرسوله ولأئمّة المسلمين.

يقول الإمام عليه السلام في نفس الكتاب في معايير اختيار الصالح.

«**فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك**»[1].

هـؤلاء ينصحون لله، ورسوله وأئمّة المسلمين فيما يعملون وما يقولون، أمّـا أولئـك الذين يبتغـون من المواقع زهـرة الحياة الدنيـا ومتاعها، فلا يصلحون لهذه المواقع ولا ينصحون.

هـ. القيم وفضائل الأخلاق، وهي بلا شكّ من عناصر الاختيار الصالح...

أمّا الذيـن يفقدون فضائل الأخلاق، ويتعاملـون مع الناس بفظاظة، ومـع مواقـع المسؤولية مـن منطلق المصالـح الشخصيـة، والبطر والرئاء، فلا يصلحون لتحمّل أية مسؤولية من مسؤوليات المسلمين.

يقـول أميـر المؤمنيـن عليه السلام في نفـس الكتاب: «**ثـم انظر فـي حال كُتَّابـك، فـولّ على أمورهم خيرهم، واخصـص رسـائلك التي تدخل فيها مكائدك، وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق**»[2].

6. الامتحان ولا بدّ أن يسبق الاختيار الامتحان.

فلا يختار المسؤولون شخصاً لمهمة قبل أن يعرفوا كفاءته لإدارة ذلك العمل بالامتحان.

يقـول الإمام علي عليه السلام في نفس الكتاب: «**ثـمّ انظر في أمور عُمّالك فاستعملهم اختباراً، ولا تولّهم محاباة ولا أثرة**»[3]. وهو الأسلوب الصحيح للاختيار الأصلح.

---

(1) م. ن.

(2) م. ن.

(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، الكتاب 53.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى: «**الطمأنينة إلى أحد قبل الاختبار له عجز**»[1].

16. الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية

المشاريع الكبيرة لا ينهض بها إلّا أصحاب الهمم العالية. وليس معنى الاهتمامات الكبيرة والهمم العالية الجنوح إلى المثاليات في العمل... ولا تنافي الاهتمامات الكبيرة أن يكون أصحابها واقعيين في مشاريعهم... وإنّما الفارق بين الأعمال المحدودة والمشاريع الكبيرة همم أصحابها...

فالذين آتاهم الله الهمم العالية ينهضون بالأعمال العظيمة، في العمر المحدود الذي يعيشه الآخرون وبالإمكانات المحدودة التي يملكها الآخرون.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**خير الهمم أعلاها**»[2].

وقيمة الإنسان بمقدار همّته وطموحه.

عن الإمام علي عليه السلام: «**قدر الرجل على قدر همّته**»[3].

عن الإمام علي عليه السلام: «**على قدر الهمم تكون الهموم**»[4].

(1) م.ن، حكمة 384.

(2) الآمدي، غرر الحكم، ج 1، ص 349.

(3) م. ن، ج 2، ص 28.

(4) السيّد الرضي، نهج البلاغة، كلمات الإمام علي عليه السلام، حكمة 47.

الفصل الرابع

وقفة مع كتاب أمير المؤمنين عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الأنصاري

تمهيد

تعـدّ مراسـلات أمير المؤمنيـن عليه السلام ومكاتباته، خير مـا حفظه لنا التاريـخ من فتـرة كانت مليئـة بالفتن، بحيـث يصعب على غيـر البصير تشخيص الحق من الباطل.

ولـو راجعنـا إلـى هـذه المراسـلات والمكاتبـات لرأينـا أنّ أميـر المؤمنيـن عليه السلام يحـاول جهده تمييز الحـق من الباطـل، وإرشاد الناس سيمـا الخواص منهم إلـى النهج القويم، فهو يعظ ويأمـر، ويزجر وينهى، ويولّي ويعزل، كلّه لتقويم الأمّة وصيانتها من الزلل.

ومن تلك الكتب التي حفظهـا لنا التاريخ ودوّنها السيّد الرضي في نهج البلاغـة، ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى عثمـان بن حنيف الأنصاري عاملـه على البصـرة، وقد بلغه أنّه دعـي إلى وليمة قومٍ مـن أهلها غنيّهم مدعو وعائلهم مجفوّ، فمضى إليها، فكتب عليه السلام عاتباً عليه بحضور هذه المأدبـة، إذ ينبغي للحاكم أن يواسي الفقـراء والضعفاء في جميع أحواله وأموره حتى في كيفية حضور الولائم.

نص الكتاب

ومن كتـاب له عليه السلام إلى عثمان بـن حنيف الأنصـاري[1]، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فمضى إليهم:

---

(1) عثمان بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عمرو، وقيل أبا عبد الله. كانـت أوّل مشاهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله أحد على قـول. ولاه عمر على مساحة الأرض وجبايتها وضرب الخراج، ولما استشار أصحابه فيمن يولّي على هذه المهمّة أشاروا عليه بعثمان بن حنيف وقالوا: إنّ له بصراً وعقلاً ومعرفة وتجربة.

«أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُو.

فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِ فَنَلْ مِنْهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ.

بَلَى! كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ.

وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ... وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي

مَكاره الدَّهْر، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ في جُشُوبَة الْعَيْش! فَمَا خُلِقْتُ ليَشْغَلَني أَكْلُ الطَّيِّبَات، كَالْبَهيمَة الْمَرْبُوطَة هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَو الْمُرْسَلَة شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلالَة، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَة!

وكَأَنِّي بِقَائِلكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالب، فَقَدْ قَعَدَ به الضَّعْفُ عَنْ قِتَال الأَقْرَان وَمُنَازَلَة الشُّجْعَان. أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ الله كَالضَّوْءِ مِنَ الضَّوْءِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُد، وَالله لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيد.

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِك، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِك، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِك.

أَيْنَ الْقُرُونَ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِك! أَيْنَ الأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِك! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينَ اللُّحُود. وَالله لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ الله فِي عِبَاد غَرَرْتِهِمْ بِالأَمَانِيِّ، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوك أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى الْمَثَلَف، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلاَء، إِذْ لاَ وِرْدَ وَلاَ صَدَرَ! هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِك وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلاَخُهُ.

اعْزُبِي عَنِّي! فَوَالله لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَدْلِينَي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي. وَايْمُ الله - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ الله عزّ وجلّ - لأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا.

أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ! وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ! وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرِكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

فَاتَّقِ اللهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ[2].

آداب حضور الولائم للوالي

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ».

(فتيــة) جمع فتــى: الشاب الحــدث أو السخــي (مأدبــة) بضم الدال الطعــام يدعى إليــه (الجفان) جمع جفنــة أي القصعــة (العائل) الفقير (مجفوّ) أي مطرود وممنوع.

يبيّــن أمير المؤمنين عليه السلام هنــا آداب حضور الولائــم للوالي، ويذكّر عثمــان بن حنيف وغيره ممّن يحوز موقعية اجتماعية مرموقة، ويمثّل كياناً دينيــاً، سيّما في فترة الفتن وخبط الحقّ والباطــل، بالتأنّي وعدم الإسراع

(1) سورة المجادلة، الآية 22.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة خطب الإمام علي عليه السلام، ج 3، ص 75.

إلى استجابة أيّ دعوة إلّا بعد دراسة جميع جوانبها، حتى لا يقع في شبك أصحاب الفتن.

فقوله عليه السلام: «**فأسرعت إليها**» يشير إلى ما ذكرنا من لزوم التأنّي والتفكّر ودراسة الأمور من جميع الجوانب ثمّ الإقدام إذا اقتضت المصلحة. أمّا الإسراع إلى هكذا مجالس، والانغمار في ملاذ الطعام والشراب والإكثار منهما، كما يشير إليه قوله عليه السلام: «**تستطاب لك الألوان...**» سيّما وأنّ الفقراء مطرودون منه، ولم يحضر سوى الأغنياء المترفين، أمر غير محبّذ شرعاً للوالي أو لمن له مسؤولية اجتماعية ودينية.

آداب الطعام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ**».

(القضم) الأكل بأطراف الأسنان (المقضم) المأكل (الفظه) اطرحه من فمك.

يشير عليه السلام هنا إلى بعض آداب الطعام، حيث يؤكّد على لزوم اهتمام الإنسان بطيب مأكله ومشربه سواء في حياته الفردية أو في حياته الاجتماعية وعند حضور الولائم، وهنا يأمر الإمام عليه السلام عامله على البصرة بترك المشتبه فيه وتناول المستيقن بحليّته.

لزوم القدوة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ**»، يذكر عليه السلام هنا لزوم القدوة للاستضاءة بنور علمه والأخذ منه، إذا الإنسان يجهل بكثير من المسائل التي تخصّ حياته الدنيويّة في

المجال الفردي والاجتماعي، والتي تكون السبب في سعادته الأخروية، لذا لا بدّ له من قدوة يأتمّ به ويستضيء بنوره لينال سعادة الدارين.

زهد أمير المؤمنين عليه السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ، أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ. فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، وَلَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَوْهَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ»[1].

(الطمر) الثوب البالي الخلق (التبر) الذهب (الوفر) المال (الأتان الدبرة) هي التي عقر ظهرها فقلّ أكلها (مقرة) مرّة.

يذكر هنا عليه السلام زهده وكيفية سلوكه في الدنيا، حيث اكتفى من الملبس بثوبين ومن المطعم بقرصين، وهما – أي الملبس والمطعم – من أبرز معالم الدنيا حيث نرى اهتمام كثير من الناس بهما، وبتبعهما تتولد كثير من معالم دنيوية أخرى كالحرص والطمع والكبر والجشأ والاحتكار وغيرها، ولذا خصّهما أمير المؤمنين عليه السلام بالذكر وقال: «**قد اكتفى من دنياه**».

ثمّ صرّح عليه السلام بأنّ هذا من مختصّات نفسه القدسيّة ولا يتحمّله غيره، ولكن هذا لا يعني إهمال النفس والانغماس في الدنيا وملاذها، بل وضع برنامجاً تربوياً لخصّه في مواد أربعة وهي:

الورع: وهو تحصّن النفس عن الرذائل، والاجتناب عن المحارم.

الاجتهاد: في تحرّي الحقيقة، والعمل على مقتضى الوظيفة، وتحمّل الكدّ والأذى في سبيل الحق.

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، ج 3، ص 71.

العفّة: وهي ضبط النفس عمّا لا يحلّ ولا ينبغي من المشتهيات وما فيه الرغبات.

السداد: وهو تحكيم المعرفة بالأمور والأخذ باليقين، وتحكيم العمل بالدقّة في تقرير شرائطه وكيفياته وعدم التسامح فيه[1].

ثمّ يبدأ عليه السلام ويشرح سيرته في حياته الدنيوية تأييداً وعلّة للحكم بعدم قدرتنا على ما هو عليه، فحلف عليه السلام وذكر أنّه ما اكتنز من مال الدنيا ذهباً ولا فضّة، كما صنع غيره من الصحابة الذين اغترّوا بالدنيا وخلّفوا ما لا يعدّ ولا يحصى وما كان يكسر بالفؤوس. ولا ادخر عليه السلام من الغنائم التي انهالت على المسلمين أيّام الفتوحات مالاً ولا ثروة بل كان يصرف الفائض عن مؤونته في الباقيات الصالحات وينفقه على الفقراء، ولا أعدّ لبالي ثوبه الخلق ثوباً آخر، ولا امتلك من الأراضي الكثيرة التي وزّعت على المسلمين شبراً، بل كان يحبّسها لله تعالى بعد ما يحييها، أو كان ينفق ما يحصل منها على المسلمين ولم يأخذ منه إلّا كقوت أتان دبرة، وهي التي عقر ظهرها فقلّ أكلها، وذلك كلّه لأنّ الدنيا في عينه أهون من عفطة مقرة أي مرّة، فكم ترى قيمة العفطة فالدنيا عند أمير المؤمنين عليه السلام أهون منها.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقم للدنيا وزناً، لذا تراه كثير الذم لها، فتارة يجعلها أهون من عفطة، وأخرى يخاطبها ويقول لها: «**يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي أَبِي تَعَرَّضْتِ أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ لَا حَانَ حِينُكِ هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي لَا حَاجَةَ لِي فِيكِ قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثاً لَا رَجْعَةَ فِيهَا فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ**»[2].

(1) الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج 20، ص 86.
(2) نهج البلاغة، قصار الحكم، ص 72.

وتارة ثالثة يقول: «**وَاللهِ لَدُنْيَاكُمْ هَذِه أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْذُومٍ**»[1].

ورابعة يقول أيضاً: «**إِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا**»[2].

القبر

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ، وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا، لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَالْمَدَرُ، وَسَدَّ فُرَجَهَا التُّرَابُ الْمُتَرَاكِمُ**».

بعد ما ذكر أمير المؤمنين عليه السلام إعراضه عن الدنيا وما فيها، والاكتفاء منها بأقل القليل، وبعد ما عرّج على فدك وما آل إليه أمرها، ذكر أنّه لم يكترث بذهاب فدك وغير فدك ممّا هو أعظم منها، إذ أن عاقبة الإنسان الموت والقبر، فالنفس مظانّها أي موضع سكونها في غد الجدث وهو القبر، وفي ظلمته تنقطع أخبار آثار الإنسان، وحتى لو زيد في حجمه المادي لملأ التراب فرجه.

ولأمير المؤمنين عليه السلام كلام عن القبر مبثوث في نهج البلاغة، ذكرناه سابقاً في كتاب «**منازل الآخرة في نهج البلاغة**» نعيده هنا تتميماً للفائدة، ضمن النقاط التالية:

وحشة القبر وضيقه وغربته

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ... وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ**

(1) م. ن، ص 227.

(2) م. ن، الخطبة 223.

رَهيناً، وَفي ضيق الْمَضْجَع وَحيداً... ثُمَّ أُدْرِجَ في أَكْفَانه مُبْلساً، وَجُذِبَ مُنْقَاداً سَلساً، ثُمَّ أُلْقيَ عَلَى الْأَعْوَاد رَجيعَ وَصَب، وَنضْوَ سَقَم، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَان، وَحَشَدَةُ الْإِخْوَان إِلَى دَار غُرْبَته، وَمُنْقَطَع زَوْرَته»[1].

وقال عليه السلام: «وَاتَّعظُوا فيهَا بِالَّذينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً، حُمِلُوا إِلَى قُبُورهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفيح أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَاب أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَات جيرَانٌ، فَهُمْ جيرَةٌ لَا يُجيبُونَ دَاعياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً، إِنْ جيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا، جَميعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَريبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ، اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْض بَطْناً، وَبِالسَّعَة ضيقاً، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَالنُّور ظُلْمَةً»[2].

وقال عليه السلام: «فَكَأَنَّ كُلَّ امْرئٍ منْكُمْ قَدْ بَلَغَ منَ الْأَرْض مَنْزلَ وَحْدَته، وَمَخَطَّ حُفْرَته، فَيَا لَهُ منْ بَيْتَ وَحْدَة، وَمَنْزل وَحْشَة، وَمُفْرَد غُرْبَة»[3].

وقال عليه السلام: «فَكَفَى وَاعظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورهِمْ غَيْرَ رَاكبينَ، وَأُنْزِلُوا فيهَا غَيْرَ نَازلينَ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا للدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الْآخرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ داراً، أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحشُونَ»[4].

وقال عليه السلام: «فَمَحَلُّهَا مُقْتَربٌ وَسَاكنُهَا مُغْتَربٌ، بَيْنَ أَهْل مَحَلَّة مُوحشينَ، وَأَهْل فَرَاغ مُتَشَاغلينَ، لَا يَسْتَأْنسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 82.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 110.

(3) م. ن، الخطبة 157.

(4) م. ن، الخطبة 188.

تَوَاصُلَ الْجيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ»[1].

وقال عليه السلام في صفة أصحاب القبور بأنّهم لو نطقوا لقالوا: «**كَلَحَت الْوُجُوهُ النَّوَاضِرُ، وَخَوَت الْأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً**»[2].

تجسّم الأعمال وتلازمها للإنسان

إنّ الأعمال تتجسد للإنسان في القبر، فيراها بصورها الحسنة أو القبيحة قال عليه السلام: «**وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى... مُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ وَثَوَابِ الْعَمَلِ... وَالْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةٌ بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقَنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا**».

وأشار عليه السلام إلى التلازم القائم بين الإنسان وبين عمله وقال عليه السلام: «**ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ**»[3].

وقال عليه السلام: «**قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ**»[4]، وقال عليه السلام: «**لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً**»[5].

ضغطة القبر

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الْأَرْمَاسِ... وَاخْتِلَافِ الْأَضْلَاعِ، وَاسْتِكَاكِ الْأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ**

(1) م. ن، الخطبة 225.

(2) م. ن، الخطبة 220.

(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 108.

(4) م. ن، الخطبة 110.

(5) م. ن، الخطبة 188.

الْوَعْد، وَغَمِّ الضَّريح، وَرَدْم الصَّفيح»[1].

وقال عليه السلام: «**وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْه... وَضَمَّكُمْ ذَلكَ الْمُسْتَوْدَعُ**»[2].

ولشدة هذا الأمر وهوله كان الإمام الباقر عليه السلام يتعوّذ منه ويقول: «**اللهم إنّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن ضغطة القبر**»[3].

تناخر الأجسام

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**قَدْ هَتَكَت الْهَوَامُّ جلْدَتَهُ، وَأَبْلَت النَّوَاهكُ جدَّتَهُ، وَعَفَت الْعَوَاصفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالَمَهُ، وَصَارَتَ الْأَجْسَادُ شَحبَةً بَعْدَ بَضَّتهَا، وَالْعظَامُ نَخرَةً بَعْدَ قُوَّتهَا**»[4].

وقال عليه السلام: «**سَلكُوا في بُطُون الْبَرْزَخ سَبيلاً سُلِّطَت الْأَرْضُ عَلَيْهمْ فيه، فَأَكَلَتْ منْ لُحُومهمْ، وَشَربَتْ منْ دمَائهمْ، فَأَصْبَحُوا في فَجَوَات قُبُورهمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ، وَضمَاراً لَا يُوجَدُونَ، لَا يُفْزعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَال، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَال... فَلَوْ كَانُوا يَنْطقُونَ... فَقَالُوا كَلَحَت الْوُجُوهُ النَّوَاضرُ، وَخَوَت الْأَجْسَامُ النَّوَاعمُ، وَلَبسْنَا أَهْدَامَ الْبلَى... فَانْمَحَتْ مَحَاسنُ أَجْسَادنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارفُ صُورنَا... فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بعَقْلكَ، أَوْ كُشفَ عَنْهُمَ مَحْجُوبُ الْغطَاء لَكَ، وَقَد ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بالتُّرَاب فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَت الْأَلْسنَةُ في أَفْوَاههمْ بَعْدَ ذَلاقَتهَا، وَهَمَدَت الْقُلُوبُ في صُدُورهمْ بَعْدَ يَقَظَتهَا، وَعَاثَ في كُلِّ جَارحَة منْهُمْ جَديدُ بلَى سَمَّجَهَا وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَة إلَيْهَا، مُسْتَسْلَمَات فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ في كُلِّ**

(1) م. ن، الخطبة 190.

(2) م. ن، الخطبة 225.

(3) الشيخ الكليني، الكافي، ج 2، ص 526.

(4) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 82.

فَظَاعَة صفَةُ حَال لَا تَنْتَقلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلي، فَكَمْ أَكَلَت الْأَرْضُ منْ عَزيز جَسَد وَأَنيق لَوْن، كَانَ في الدُّنْيَا غَذيَّ تَرَف وَرَبيبَ شَرَف، يَتَعَلَّلُ بالسُّرُور في سَاعَة حُزْنه، وَيَفْزَعُ إلَى السَّلْوَة إنْ مُصيبَةٌ نَزَلَتْ به، ضَنّاً بغَضَارَة عَيْشه، وَشَحَاحَةً بلَهْوه وَلَعبه»[1].

وقال عليه السلام في وصف أصحاب القبور وعدم التزاور فيما بينهم مع قرب الجوار: «**وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ، وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِه الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى**»[2].

المساءلة في القبر

من الشدائد التي تواجه الإنسان في القبر سؤال منكر ونكير إيّاه ومحاسبته، ولذا يُلقّن الميّت قبل الدفن وبعد الدفن.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**حَتَّى إذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ في حُفْرَته نَجيّاً لبَهْتَة السُّؤَال، وَعَثْرَة الامْتحَان**»[3].

وقد قال أبو ذر رحمه الله لما وقف على قبر ابنه: «**ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، والله ما بكيت لك ولكن بكيت عليك، فليت شعري ما قلت وما قيل لك**»[4].

التقوى

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**وَإنَّمَا هيَ نَفْسي أَرُوضُهَا بالتَّقْوَى لتَأْتيَ آمنَةً يَوْمَ الْخَوْف الْأَكْبَر، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانبَ الْمَزْلَق**».

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 220.

(2) م. ن، الخطبة 225.

(3) م. ن، الخطبة 82.

(4) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 1، ص 185، ح 558.

يشير عليه السلام هنا إلى مسألة جهاد النفس وإصلاحها ومتابعة شؤونها، وعلّل ذلك للأمان من يوم الخوف الأكبر وهو يوم القيامة وما فيه من مخاوف، ولتثبت على جوانب المزلق أي مواضع الزلّة كالصراط مثلاً.

ونحوه ما يأتي من قوله عليه السلام: «**وَايْمُ اللهِ يَميناً أَسْتَثْني فيهَا بِمَشيئَة اللهِ لَأَرُوضَنَّ نَفْسي رِيَاضَةً تَهشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً**»[1].

وإنّما خصّ التقوى بالذكر لكونها تشمل جميع مفردات حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، وبسببها تقبل الأعمال كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

لذا نرى تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على مسألة التقوى، فيقول: «**وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِه**»[3]. وكتب عليه السلام إلى بعض عمّاله: «**اتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاء**»[4].

ولأهمية التقوى في تعديل سلوك الإنسان كان يحثّ عليها دائماً، والحثّ على التقوى في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أخذ طابع التنوّع، فتارة يوصي بها ويقول: «**أوصيكُمْ عبادَ اللهِ بتَقْوَى اللهِ وَطاعَتِه، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً**»[5]، وقال عليه السلام: «**أُوصيكُمْ عبادَ اللهِ بتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِه، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللهِ**»[6]، وقال عليه السلام: «**أُوصيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا**»[7]، وهي أحب ما أوصى به ابنه الإمام الحسن عليه السلام

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، ج 3، ص 74.
(2) سورة المائدة، الآية 27.
(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 183.
(4) م. ن، الكتاب 56.
(5) م. ن، الخطبة 161.
(6) م. ن، الخطبة 173.
(7) م. ن، الخطبة 195.

حيث قال: «**وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي: تَقْوَى اللهِ**»[1].

وتارة أخرى يجعلها أفضل زاد ويقول: «**لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا (أي الدنيا) إِلَّا التَّقْوَى**»[2]، وقال عليه السلام: «**اسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى**»[3]، وقال عليه السلام: «**أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَاذُ، زَادٌ مُبْلِغٌ وَمَعَاذٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا**»[4].

ولما مرّ عليه السلام بأصحاب القبور وناداهم وسأل عن أحوالهم، قال عقيبه: «**أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**»[5].

وقال عليه السلام: «**إنّكم إلى أزواد التقوى أحوج منكم إلى أزواد الدنيا**»[6] وقال عليه السلام: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً... جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ**»[7].

وتارة ثالثة بأنّها سبب النجاة حيث قال عليه السلام: «**اتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ**»[8]، وقال عليه السلام: «**فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ**»[9].

وقال عليه السلام: «**وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ**

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الكتاب 31.
(2) م. ن، الخطبة 110.
(3) م. ن، الخطبة 204.
(4) م. ن، الخطبة 113.
(5) م. ن، قصار الحكم 123.
(6) الآمدي، تصنيف غرر الحكم، 5859.
(7) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 75.
(8) م. ن، الخطبة رقم 119.
(9) م. ن، الخطبة 229.

خَلْقه، فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذي أَنْتُمْ بعَيْنه، وَنَوَاصيكُمْ بيَده»[1] وقال عليه السلام: «**التقوى آكد سبب بينك وبين الله إنْ أخذت به، وجُنّة مَن عذاب أليم**»[2].

وتارة رابعة بأنّها أعلى شيء إذ أنّه «**لا عزَّ أعزُّ منَ التَّقْوَى**»[3]، و«**التُّقَى رَئيسُ الأَخْلَاق**»[4]، بل كما قال عليه السلام: «**عليك بالتقى فإنّه خلق الأنبياء**»[5] و«**وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى**»[6]، لأنّ «**مَنْ اتقى ربّه كانَ كريماً**»[7] و«**التقوى أزكى زراعة**»[8] و«**التقوى ثمرة الدين وإمارة اليقين**»[9] وقال عليه السلام: «**ألا وإنّ من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحّة البدن، وأفضل من صحّة البدن تقوى القلب**»[10].

وتارة خامسة بأنّها سبب الخلاص والفرج للإنسان، قال عليه السلام: «**لَوْ أَنَّ السَّمَاوَات وَالْأَرَضينَ كَانَتَا عَلَى عَبْد رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللَّه لَجَعَلَ اللَّه لَهُ منْهُمَا مَخْرَجاً ،وَرَزَقَهُ منْ حَيْثُ لَا يَحْتَسب**»[11] وقال عليه السلام: «**من اتقى الله سبحانه جعل له منَ كلّ همّ فرجاً، ومَن كلّ ضيق مخرجاً**»[12].

وسادسة بأنّها توجب المعيّة مع الله تعالى، حيث قال عليه السلام: «**أيسرّك أنْ تكون منْ حزْب الله الغالبين، اتَّق الله وَأَحْسنْ فَإنَّ الله مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا**

(1) الآمدي، تصنيف غرر الحكم، 5854.
(2) م. ن، 5886.
(3) م. ن ، 360.
(4) قصار الحكم، 399.
(5) م. ن، 5886.
(6) م. ن، 107.
(7) م. ن، 5870.
(8) م. ن، 5831.
(9) م. ن، 5902.
(10) م. ن، 378.
(11) م. ن، 5950.
(12) م. ن، 5951.

وَالَّذينَ هُمْ مُحْسنُونَ»[1].

وأخيراً أنّ التقوى من الحقوق المتبادلة بين العبد وربّه، يدلّ عليه قوله عليه السلام: **«أُوصيكُمْ بتَقْوَى الله فَإنَّهَا حَقُّ الله، عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجبَةُ عَلَى الله حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعينُوا عَلَيْهَا بِالله، وَتَسْتَعينُوا بهَا عَلَى الله، فَإنَّ التَّقْوَى في الْيَوْم الْحرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفي غَد الطَّريقُ إلَى الْجَنَّة، مَسْلَكُهَا وَاضحٌ، وَسَالكُهَا رَابحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافظٌ، لَمْ تَبْرَحْ عَارضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَم الْمَاضينَ منْكُمْ وَالْغَابرينَ لحَاجَتهمْ إلَيْهَا غَداً، إذَا أَعَادَ الله مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى، فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلهَا، أُولَئكَ الْأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صفَة الله سُبْحَانَهُ إذْ يَقُولُ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾**[2] **فَأَهْطعُوا بأَسْمَاعكُمْ إلَيْهَا، وَأَلْظُوا بجدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا منْ كُلِّ سَلَف خَلَفاً، وَمنْ كُلِّ مُخَالف مُوَافقاً»**[3].

كما أنّها خير دواء لمرض القلوب كما قال عليه السلام: **«فَإنَّ تَقْوَى الله دَوَاءُ دَاء قُلُوبكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئدَتكُمْ، وَشفَاءُ مَرَض أَجْسَادكُمْ، وَصَلَاحُ فَسَاد صُدُوركُمْ، وَطُهُورُ دَنَس أَنْفُسكُمْ، وَجَلَاءُ عَشَا أَبْصَاركُمْ، وَأَمْنُ فَزَع جَأْشكُمْ، وَضيَاءُ سَوَاد ظُلْمَتكُمْ»**[4].

المواساة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَلَوْ شئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّريقَ إلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَل، وَلُبَاب هَذَا الْقَمْح، وَنَسَائج هَذَا الْقَزِّ، وَلَكنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلبَني هَوَايَ، وَيَقُودَني جَشَعي إلَى تَخَيُّر الْأَطْعَمَة، وَلَعَلَّ بالْحجَاز أَوْ الْيَمَامَة مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ في الْقُرْص،

(1) قصار الحكم، 5845.

(2) سورة سبأ، الآية 13.

(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 191.

(4) م. ن، الخطبة 198.

وَلَا عَهْدَ لَهُ بالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ!».

(القمح) الحنطة (القزّ) الحرير (الجشع) أشدّ الحرص (المبطان) الذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل أو الذي امتلأت بطنه من كثرة الأكل (البطون الغرثى) الجائعة (أكباد حرى) عطشى.

أشار أمير المؤمنين عليه السلام هنا إلى أنّ تركه للدنيا وملاذّها من شراب وطعام وملبس وما شاكل، ليس لأجل عدم القدرة على الوصول إليها، بل إنّما ترك ذلك احتساباً وزهداً ومواساة لأضعف الناس، كما قال عليه السلام في كلام له مع العاصم بن زياد لما ترك الدنيا وهجر الأهل والأولاد فنهاه عليه السلام عن ذلك، ولما اعترض عليه عاصم وذكر له حاله أجابه بقوله: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ**»[1].

وقوله عليه السلام: «**وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ...**» يشعر إلى شدّة اهتمامه بمكافحة الفقر الاجتماعي وتحسين الدخل الفردي، بحيث لم يبق بيت فقير عَلِمَ به أمير المؤمنين عليه السلام إلّا وقد وصله، ولذا استخدم كلمة (لعلّ) في كلامه هذا، أي أنّه لم يعثر على فقير في أنحاء مملكته، ولكن لعلّة يوجد من لم يتعرّف عليه أمير المؤمنين ولم يتمكّن من الوصول إليه.

وقوله عليه السلام: «**أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي...**» الاستفهام هنا استنكاري، أي لا أقنع بهذا اللقب من غير أن أكون مشاركاً لهم في الشدائد والمكاره.

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 209.

هدف الخلقة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**فَمَا خُلقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَات، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ، أَوِ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ**»[1].

(التقمّم) أكل الشاة ما بين يديها بقمّتها أي شفتيها (تكترش من أعلافها) تملأ كرشها من العلف، والكرش للشاة بمنزلة المعدة للإنسان (اعتسفت) من الاعتساف أي ركوب الطريق على غير قصد أو السلوك في غير طريق (المتاهة) موضع الحيرة.

ربما أخطأ الكثير منّا في تشخيص الهدف من الخلقة نتيجة الغفلة والانهماك في الملاذ الدنيوية، وعليه ينتهج نهجاً خطأ ينتهي به إلى الضلال والهلاك، ومن أهمّ أسباب إرسال الرسل والأنبياء عليهم السلام إراءة الطريق وتذكير الإنسان، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في سبب إرسال الرسل: «**وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِه أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِه، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِه، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ...**»[1].

أمّا هنا وفي كتابه عليه السلام لعثمان بن حنيف يذكر أنّ هدف الخلقة ليس الانشغال بالمأكل والملبس وسائر الملاذ الدنيوية، حاله حال البهائم التي لا همّ لها سوى الأكل غافلة عمّا يراد بها ومنها، فالإنسان لم يترك

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 1.

سدى ولم يهمل عابثاً حتى يجرّ حبل الضلالة والتيه، ويركب طريق المتاهة والحيرة، بل للخلقة هدف آخر وللإنسان سبيل آخر.

القدرة والقوّة العلوية

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَكَأَنِّي بقَائلكُمْ يَقُولُ: إذَا كَانَ هَذَا قُوتُ ابْنِ أَبي طَالب، فَقَدْ قَعَدَ به الضَّعْفُ عَنْ قِتَال الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَة الشُّجْعَان. أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَاتِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ الْعِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً»[1].

(الشجرة البرية) التي تنبت في البر الذي لا ماء فيه (الروائع الخضرة) الأشجار الناعمة الغضّة التي تنبت في الأرض الندية (الغدي) الزرع الذي لا يسقيه إلّا ماء المطر.

هنا يجيب أمير المؤمنين عليه السلام عن سؤال ربما يُطرح في الذهن، وهو أنّ قوت أمير المؤمنين عليه السلام لو كان هذا، لزمه الضعف والفتور وعدم القدرة على الحرب، فأجاب عليه السلام: إنّ القدرة والقوّة لا علاقة لها بكثرة الأكل والشرب، واستدلّ على المدعى بالأمور المحسوسة التي لا يمكن أن ينكرها أحد.

فاستشهد بالشجرة البرية التي تكون في الصحارى فإنّها أصلب عوداً من الشجرة التي تكون في المدن والبيوت ويتعاهدها أصحابها بالسقي والرقابة دوماً. وكذلك فإنّ الأشجار والنباتات الناعمة أرق وألطف من الأشجار والنباتات والأعشاب التي نبتت في الصحاري ولم يسقها إلّا ماء المطر.

فبهذين المثالين أثبت أمير المؤمنين عليه السلام أنّ كثرة الأكل والشرب لا علاقة لها بالقوّة الجسمية.

(1) م.ن، ج 3، ص 73.

اختصاصه برسول الله ﷺ

قال أمير المؤمنين عليه السلام «**وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ، وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ**».

الصِنوان: النخلتان يجمعهما أصل واحد، فشبه عليه السلام نفسه ونفس رسول الله ﷺ كالصنو من الصنو الذي يجمعهما أصل واحد، وذلك استناداً إلى قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1] حيث كانت نفس علي عليه السلام كنفس رسول الله ﷺ في الحكم والمنزلة عدا جانب النبوة.

وفي نسخة ابن أبي الحديد: «**كالضوء من الضوء**» وقال:«وذلك لأنّ الضوء الأوّل يكون علّة في الضوء الثاني، ألا ترى أنّ الهواء المقابل للشمس يصير مضيئاً من الشمس، فهذا الضوء هو الضوء الأوّل، ثم أنّه يقابل وجه الأرض فيضيء وجه الأرض منه، فالضوء الذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني، فشبّه عليه السلام نفسه الثاني، وشبه رسول الله ﷺ بالضوء الأوّل، وشبّه منبع الأضواء والأنوار سبحانه، وجلّت أسماؤه بالشمس التي توجب الضوء الأوّل، ثم الضوء الثاني»[2].

أمّا قوله عليه السلام : « **وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ**» ففيه نكات:

إنّ الذراع متصل بالعضد لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فكذلك علي عليه السلام متصل بالنبيّ ﷺ لا يمكن فصله عنه.

إنّ العضد إذا لم يكن له ذراع لا أثر له ولا يقدر على إيجاد آثاره في الخارج، كذلك الرسالة إذا لم تكن فيها الإمامة لا أثر لها أصلاً.

إنّ القوّة في العضد والفعلية في الذراع الذي فيه الكف والأصابع، فلو فرضنا قطع الذراع عن العضد لا يقدر الإنسان على شيء.

---

(1) سورة آل عمران، الآية 61.

(2) محمّد تقي النقوي، شرح النهج ابن أبي الحديد، ج 16، ص 290.

إنّ العضـد لا يكون تابعـاً للذراع، بل الذراع تابع له فـي القوّة والضعف والحركة والسكون، فكذلك الرسول لا يكون تابعاً للإمام، بل الإمام تابع له في جميع شؤونه وأفعاله وأعمّاله[1].

وهذا هو مفاد قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2] حيث أنّ ذلك حصل بالإمامة.

شجاعته عليه السلام

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا».

يحلـف أميـر المؤمنين عليه السلام هنا بـالله، ويقرّر شجاعـة نفسه وشدّة شكيمتهـا بحيث أنّ العرب جميعها لو اتحـدت عليه وحاربته لما ولّى عنها، وذلـك لأنّ الفرار من الحـرب ناتج من خوف الموت وحـبّ الحياة لا غير، وأمير المؤمنين عليه السلام أبعد شيء عن هذين المعنيين.

كيف وهو عليه السلام المشتاق إلى لقاء ربّه جلّت عظمته، وهو القائل: «**وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ**»[3]، ومن عرف شدّة استيناس الطفـل بثدي أمّه عـرف مغزى كلام الإمـام عليه السلام وشدّة حبّ لقـاء الله تعالى، وهـو القائل أيضاً: «**وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللهِ لَمُشْتَاقٌ، وَحُسْنَ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ**»[4]، وكما قال عليه السلام أيضاً: «**وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ**»[5].

(1) القايني، مفتاح السعادة، ج 15، ص 350 ملخصاً.

(2) سورة المائدة، الآية 3.

(3) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 5.

(4) م.ن، الخطبة 62.

(5) م.ن، الخطبة 180.

ولمـا بشّره رسول الله ﷺ بالشهـادة وسأله عن كيفية صبره حينذاك، قـال عليه السلام: «**يَـا رَسُـولَ اللهِ لَيْسَ هَذَا مِـنْ مَوَاطِنِ الصَّـبْرِ، وَلَكِـنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ**»[1].

وكيـف يفـرّ أمير المؤمنين عليه السلام مـن ساحة القتال وهـو القائل: «**إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ**»[2].

معاوية: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ، حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ**».

(الركس) ردّ الشيء مقلوباً وأن يقلب آخره على أوّله (المدرة) قطعة الطين اليابس (وحبّ الحصيد) حبّ النبات المحصود.

يشيـر أميـر المؤمنين عليه السلام هنـا إلى معاويـة[3]، وفي قولـه: «**أُطَهِّرَ الأَرْضَ**» إشـارة إلـى نجاسـة معاويـة وخباثتـه، فكمـا أنّ الأرض ينبغي تطهيرهـا عـن النجاسـات الظاهرة القـذرة، كذلك ينبغـي تطهيرها عن الأشرار والأوباش.

أمّـا كونه معكوساً، فإنّ العكس في اللغة ردّاً آخر الشيء على أوّله، فكما أنّ معاويـة كان في أوّل أمره معانداً محارباً للإسلام فكذلك هو في آخره، وأمـا كونـه مركوساً والركس ردّ الشـيء مقلوباً، فهو إشـارة إلى نفاقه وإنّ ظاهره يخالف باطنه[4].

---

(1) م. ن، الخطبة 156.

(2) م. ن، الخطبة 122.

(3) معاويـة بـن أبي سفيـان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أمّه هنـد بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمـس، يكنى أبـا عبد الرحمن، أسلم يوم الفتح كرهاً ونفاقـاً، ورث بغض أهل البيت عليهم السلام من أمّه وأبيه إلى أن صار إمام الفئة الباغية ورأس المنافقين. عن ابن عباس قال: إنّ رسول الله ﷺ بعث إلى معاوية يكتب له فقيل أنّه يأكل، ثم بعث إليه فقيل أنّه يأكل، فقال رسول الله ﷺ: «**لا أشبع الله بطنه**»

(4) القايني، مفتاح السعادة، ج 15، ص 354 ملخصاً.

أمّا قوله: «**حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ...**» فقد قال ابن أبي الحديد: أي حتى يتطهّر الدين وأهله منه، وذلك لأنّ الزرّاع يجتهدون في إخراج المدر والحجر والشوك والعوسج ونحو ذلك من بين الزرع كي لا تفسد منابته، فيفسد الحبّ الذي يخرج منه، فشبّه معاوية بالمدر ونحوه من مفسدات الحبّ، وشبّه الدين بالحب.

الدنيا

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ».

أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعَبِكِ! أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ. وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً، وَقَالَباً حِسِّيّاً، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِيِّ، وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى الْمَثَلَفِ، وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ، إِذْ لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ! هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ، وَالسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ.

اعْزُبِي عَنِّي! فَوَاللهِ لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي. وَايْمُ اللهِ - يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ عزّ وجلّ - لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا»[1].

(الغارب) ما بين السنام إلى العنق (المداحض) المزالق (المداعب) جمع مدعبة من الدعابة وهي المزاح (الدحض) المكان الذي لا تثبت فيه

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، ج 3، ص 74.

الأرجل (ازورّ) مال وتنكّب (مناخ البعير) مبركه (أعزبي) أبعدي (تهشّ) تتمنّى (نضب معينها) فنى ماؤها.

ثم خاطب عليه السلام الدنيا الدنية الفانية التي حُبّها رأس كلّ خطيئة، والاعتماد عليها يوجب الحسرة والندامة، وقال: إليك عنّي، أي ابعدي عنّي أو اذهبي عنّي يا دنيا، فحبلك على غاربك، شبّهها بالبعير أو الحيوان الذي حبله على غاربه، وحبل الحيوان على غاربه كناية عن تركه وأنّه يذهب حيث يشاء، ثمّ شبّهها ثانياً بالسبع الذي له مخالب، والإنسلال عدم التعلّق بها، والمعنى أنّي قد انسللت أي انقطعت عن مخالبك، ومخالب الدنيا كناية عن شهواتها وزخارفها، فكما أنّ الحيوان الذي له مخلب يهلك ما وقع في مخلبه، كذلك الدنيا تهلك من يقع في مخالبها ولا مناص عن الهلاك إلّا بالانسلال عنها.

وشبّه عليه السلام ثالثاً الدنيا بالصياد، وشبّه علائقها بالحبائل وهي جمع حبالة شبكة الصياد، ووجه الشبه ظاهر فإنّ الصياد لا يمكن له الصيد إلّا بحبائله، كذلك الدنيا لا تقدر على اصطياد الناس إلّا بما لها من الماديات، فمن قدر على التخلّص منها نجى، ومن وقع فيها هلك.

وشبّهها رابعاً بالأرض الواسعة التي لها مراتع كثيرة خضرة، فقال: اجتنبت الذهاب في مداحضك ومراتعك.

وبعد ما ذكر أوصاف الدنيا وبيّن خطرها، أشار إلى ما هو كالدليل على ما ذكره فقال: أين القوم الذين غررتهم بمداعبك، وفيه إشارة إلى أنّ الدنيا في الحقيقة تمزح بأهلها وتداعبهم وهم غافلون، ثم قال: أين الأمّم الذين فتنتهم بزخارفك من المال والمقام والأولاد وغيرها، فأجاب عليه السلام وقال: ها هم رهائن القبور وأسراء مضامين اللحود.

ثمّ خاطب الدنيا ثانياً وقال: والله أي أقسم به، لو كنت شخصاً مرئياً بالأبصار وقالباً حسّيّاً كالأجسام المحسوسة لأقمت عليك حدود الله تعالى

في عبـاد غررتهم بالأماني والآمال، وصيرتهم مـن الخاسرين الذين ضل سعيهم فـي الحياة الدنيـا، وألقيتهم في المهاوي والمهالـك التي لا يمكن التخلّص منها بعـد موتهم. وملـوك أسلمتهم إلى التلـف وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر أي لا ورود لهم ولا خروج، وهو كناية عن وقوعهم في خطر عظيم لا يمكن لهم الخروج عنه.

ثـم قـال عليه السلام: إنّ من وطئ ومشـى عليك زلق ولم تثبـت رجله، ومن ركب لججك غرق، ومن مال وتنكّب عن حبالك وفق، وهذا نحو قوله عليه السلام الآخر: «**مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ**»[1].

ثـمّ أشـار عليه السلام إلـى أنّ من سلم من خـدع الدنيا لا يبالـي وإن ضاق مقامـه ووضعـه الدنيوي وابتلـي بالفقر والجـوع وما شاكل مـن ابتلاءات الدنيا، لأنّ الدنيا عنده كيوم حان انسلاخه وانقضاؤه.

ثـمّ خاطب عليه السلام الدنيا وأمرها بالابتعاد عنـه، وأقسم أنّه لا يذلّ لها ولا يسلس لقيادها، وأقسم أيضاً أنّـه سيروّض نفسه ويجاهدها حتى تقنع بالقرص وتفرح به إذا قدرت أن توصل إليه، وتقنع بالملح اداماً لها، كما أنّه من كثرة بكائه يستفرغ دموعه كعين ماء فني ماؤها[2].

الغفلة

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ! وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ! وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِه فَيَهْجَعَ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ!**»[3].

(السائمة) الإبل التي ترعـى (والربيضة) الغنم مع رعاتها، والربوض

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، الخطبة 82.

(2) القايني، مفتاح السعادة، ج 15، ص 355 – 358 ملخصاً.

(3) م. ن، ج 3، ص 75.

للغنم كالبروك للإبل، (ويهجع) يسكن (والهاملة) المسترسلة.

ذكر عليه السلام البهائم والحيوانات التي همّها بطنها، وعرّض بالغافلين الذين اقتدوا بهذه الحيوانات فكان همّهم المأكل والمشرب، ثم استبعد ذلك عن نفسه الشريفة وقال بأنّني لو صرت كذلك لا بدّ أن يقال لي: قرت عينك حيث اقتديت بالبهائم بعد هذه السنين المتطاولة التي قضيتها في الجهاد والعبادة، وهو عليه السلام يريد أن يؤنب عثمان بن حنيف وغيره من شيعته وأصحابه حتى لا ينشغلوا بالدنيا فيصبحوا كالبهائم.

التهجّد

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**طُوبَى لنَفْس أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا، فِي مَعْشَر أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادهمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجعهمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمْهَمَتْ بذكْر رَبِّهِمْ شفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بطُول اسْتغْفَارهمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**»[1].

(عركت بجنبها) يقال: عرك فلان بجنبه الأذى أي أغضى عنه وصبر عليه (بؤسها) ضرّها (غمضها) نومها (الكرى) النعاس (تقشّعت) انحلّت وذهبت.

يمتدح أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية المطاف النفس التي دأبت في العبادة والتهجّد، فيقول: طوبى لهذه النفس التي صبرت على الشدائد والمكاره التي ترد عليها، وهجرت في الليل نومها وانشغلت بالعبادة ثم إذا غلب عليها النوم آوت إلى الأرض، فلم يكن فراش لها سواها، ولم يكن لها وسادة إلّا الكفّ، فأصبحت هذه النفس في زمرة أولياء الله تعالى والعرفاء

(1) السيّد الرضي، نهج البلاغة، ج 3، ص 75.

الذيـن أسهر عيونهـم خوف معادهم، وذهبت ذنوبهـم بطول استغفارهم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾»[1].

الخلاص من النار

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**فَاتَّقِ اللهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفُفْ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ**»[2].

وأخيـراً أمـر عليه السلام ابـن حنيف، والخطـاب يشمل غيـره، بتقوى الله تعالـى، وبالإقلال من الدنيا وتمتعاتها، وذكر الأقراص من باب الاستشهاد بالجـزء من الكل، ومن باب أنّ أكثر انشغـال الإنسان لتأمين هذا الجانب، فنـراه يأكل فـي اليوم ثلاث وجبات عدا ما يتخلّلها مـن أكلات ومشروبات متنوعـة. والخلاصة أنّ التقوى والزهد في الدنيا هما السبيل للخلاص من النار والهلاك غداً، وبهما تحصل الزلفى والسعادة.

(1) سورة المجادلة، الآية 22.

(2) السيّد الرضي، نهج البلاغة، ج 3، ص 75.

مركز نون
للتأليف والترجمة

مركز نون، من مؤسّسات جمعيّة المعارف الإسلاميّة، يختصّ بتخطيط البرامج والمتون التعليميّة والثقافيّة، وتأليف وإعداد المتون التعليميّة والثقافيّة العامّة، مُراعياً القواعد المنهجيّة والبحثيّة والتربويّة، وحفظ الأصالة الإسلاميّة.

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org